الهوية الوطنية لدى أبناء الأسرى السياسيين الفلسطينيين المؤبدين ودورها في توافقهم النفسي

National identity for Palestinian political life sentence prisoners sons and its role in their psychological Adjustment

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب:

مسلم خالد حسن القاضي

بإشراف

د. بيهان القيمري

جامعة بيرزيت– فلسطين

2018

BIRZEIT UNIVERSITY

كلية الدراسات العليا

برنامج علم النفس المجتمعي

الهوية الوطنية لدى أبناء الأسرى السياسيين الفلسطينيين المؤبدين ودورها في توافقهم النفسي

National identity for Palestinian political life sentence prisoners sons and its role in their psychological Adjustment

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب:

مسلم خالد حسن القاضي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في علم النفس المجتمعي من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين

جامعة بيرزيت – فلسطين

2018

جامعة بيرزيت
BIRZEIT UNIVERSITY

الهوية الوطنية لدى أبناء الأسرى السياسيين الفلسطينيين المؤبدين ودورها في توافقهم النفسي

National identity for Palestinian political life sentence prisoners sons and its role in their psychological Adjustment

مسلم خالد حسن القاضي

لجنة النقاش

الدكتورة بيهان القيمري/ مشرفاً .....

الدكتورة لينا ميعاري/ عضواً .....

الدكتور سعيد شحادة/ عضواً .....

نوقشت في تاريخ 2018/2/3

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في علم النفس المجتمعي بكلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين.

الإهداء

إلى أساس الوجود، والعطاء بلا حدود، الذين جعل الله طاعتهما من طاعته. . . . والديَّ.

إلى الشمعات العشر التي أنارت دروبي. . . . . إخوتي وأخواتي.

إلى من جمعتني بها الصدفة في رحلة دراستي، فأصبحت رفيقة درب ونبع حب بسخاء. . .

زوجتي.

إلى الذين مضوا لتحرير الوطن، فدفعوا حريتهم في الأسر لقدر غير معلوم. . . الأسرى المؤبدين.

وإلى أطفال أعيتهم الحياة التي لا يريدون منها سوى أن تعيد لهم آباء اختطفهم الغرباء في وطنهم السليب. . . . أبناء الأسرى.

وإلى كل من سَرَّهُ نجاحي

أهدي جهدي هذا

مسلم القاضي

الشكر والتقدير

يسرني بعد انتهائي من إعداد رسالتي أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى الدكتورة بيهان القيمري المشرفة على هذه الرسالة لما بذلته من جهود قيمة في التوجيه والمتابعة والتي كان لها أطيب الأثر في إخراج هذا العمل.

كما وأتقدم بجزيل الامتنان لأعضاء لجنة المناقشة الدكتورة لينا ميعاري، والدكتور سعيد شحادة على جهودهم المبذولة في تقديم ملاحظاتهم الإثرائية القيمة، لتخرج الرسالة بشكلها النهائي.

ويطيب لي أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لمديري التربية والتعليم ورؤساء أقسام الإرشاد في مديريات التربية والتعليم بنابلس وجنوب نابلس وجنين وطوباس، وهنا اقدم شكري أيضا إلى المديرين والمرشدين، الذين عملوا على تسهيل مهمتي البحثية في مدارسهم.

كما أتوجه بالشكر إلى الأخوة في هيئة شؤون الأسرى والمحررين واخص بالذكر الأخ نزار الأقرع، واشكر أيضاً الأخت الإعلامية منال سيف لتعاونها معي وتزويدي بمعلومات قيمة تخص الدراسة.

ولا يفوتني أن أتوجه بفائق تقديري إلى عائلات الأطفال أبناء الأسرى البواسل لتعاونهم الصادق في إتمام المقابلات البحثية، راجيين من الله أن يجمع شملهم عاجلا مع أسراهم في ربوعنا المتحررة.

ويدعو واجب الوفاء والعرفان بالجميل إلى توجيه الشكر والتقدير إلى الأخ والصديق اياد والذي آزرني في الترجمة وأعطاني الكثير من وقته وجهده طيلة سنوات الدراسة.

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر والثناء من الأستاذ محمد شحادة الذي قام بتدقيق هذه الرسالة لغوياً. وكذلك الأخوين وليد عواد ونزيه أبو شعيب اللذين ساعداني في تنسيق الرسالة، وطباعتها.

وأخيراً اسجل شكري وتقديري إلى كل من أعانني وآزرني في إعداد هذا العمل ممن فاتتني الإشارة إليهم، والله خير الموفق والمعين.

مسلم القاضي

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	أ
الشكر والتقدير	ب
فهرس المحتويات	ث
فهرس الملاحق	ح
الملخص	خ
Abstract	ذ
من تجربة الباحث	ز
الفصل الأول: التعريف بالدراسة	**1**
المقدمة	2
مشكلة الدراسة	8
أهمية الدراسة	10
مصطلحات الدراسة	11
الفصل الثاني: مراجعة الأدبيات	**13**
تمهيد	14
الخلفية النظرية	15
الأسرى الفلسطينيون المؤبدين	26
أبناء الأسرى	29
الهوية	30
نظرية الهوية الاجتماعية	30
الهوية من المنظور السوسيولوجي والسيكولوجي	30
دور الأب في تشكيل الهوية للأبناء	36
التوافق النفسي للأطفال أبناء الأسرى المؤبدين	37

الجلد والتوافق النفسي	41
الفصل الثالث: الطريقة والإجراءات	**43**
منهج الدراسة	44
مجتمع الدراسة	45
المشاركون في الدراسة	46
صفات المبحوثين	47
إجراءات الدراسة	50
أداة الدراسة (المقابلات)	51
تحليل البيانات	52
الفصل الرابع: نتائج الدراسة	**55**
المحور الأول: حالة الهوية الوطنية	56
المحور الثاني: تأثير الحياة اليومية	66
المحور الثالث: الحالة النفسية لأبناء الأسرى	72
الفصل الخامس: مناقشة النتائج	**81**
التوصيات	90
المقترحات	91
محدودية الدراسة	92
المصادر والمراجع	94
الملاحق	109

فهرس الملاحق

رقم الملحق	عنوان الملحق	الصفحة
1	**أسئلة المقابلة**	109
2	**إحصائية الأسرى ذوي الأحكام المؤبدة**	110
3	**رسالة أسير إلى ابنته**	111
4	**خارطة توزيع المعتقلات والسجون الإسرائيلية في أنحاء فلسطين**	114

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة دور الهوية الوطنية في التوافق النفسي لدى الأطفال أبناء الأسرى السياسيين الفلسطينيين الذين يقضون أحكاماً مؤبدة (مدى الحياة) في سجون الاحتلال الإسرائيلي .

وتحددت مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس:

ما هو دور الهوية الوطنية في التوافق النفسي للأطفال أبناء الأسرى المؤبدين؟

هذه الدراسة تم إجراؤها في المدارس الحكومية التابعة لمديريات التربية والتعليم نابلس، وجنوب نابلس، وجنين، وطوباس، وشارك فيها 19 طفلاً من الجنسين (10 ذكور، 9 إناث)، وقد تراوحت أعمارهم من 12–17 سنة. أما أداة الدراسة فقد اعتمدت على المقابلات الفردية المعمقة مع المبحوثين، وباستخدام النظرية المجذرة (Grounded Theory) تم تحليل ما جمع من بيانات، وقد كانت أهم النتائج:

إن غالبية الأطفال أبناء الأسرى المؤبدين يعانون من صراع في هويتهم الجماعية الوطنية، فهم يشعرون بالفخر كأبناء أسرى سياسيين، وفي الوقت نفسه لديهم شعور بأن المجتمع تركهم كَـ "ضحايا منسيين".

كما اتضح أن الأطفال الذين شهدوا حادثة اعتقال الأب عانوا من صعوبات نفسية اكثر من نظرائهم الذين لم يشهدوا حادثة الاعتقال. وتبين أن جميع الأطفال المشاركين مروا

بأزمات نفسية كانت حادة عند بعضهم عشية ابرام "صفقة وفاء الأحرار" حيث تم الإفراج عن مئات الأسرى من ذوي الأحكام العليا، في حين بقي آباؤهم داخل الأسر.

أما فيما يتعلق بالجانب الأسري والاجتماعي فكان أهم ما تم التوصل اليه أن العديد من الأطفال المبحوثين يعانون من مشكلات أسرية تمثلت في النزاع المستمر بين الأم وعائلة الأب المعتقل، وفي بعض الأحيان طلاق الأم من زوجها بعد الأسر.

وعلى صعيد المجتمع اتضح أن هناك هبوطاً في التضامن المجتمعي مع قضية الأسرى، وهذا اثر سلبياً على تشكيل هوية أبنائهم الوطنية وصحتهم النفسية.

وقد ختمت هذه الدراسة بجملة من التوصيات والمقترحات على ضوء النتائج التي تم الحصول عليها.

Abstract

This study aims to show the role of national identity in the psychological adjustment of children of political prisoners life sentence in Israeli occupation jails.

The study examine in the following question:

What is the role of national identity in the psychological adjustment of the children of political prisoners serving life sentence in Israeli prisons.

The study was carried out in the governmental schools of the ministry of education, in Nablus region, Jenin and Tobas.19 children have taken part in this study (l0 males and 9 females).

The data have been analyzed with the use of Grounded theory which enabled us to reach to the following results:

The majority of serving life sentence political prosoners' children suffer from conflict in their national social identity. On one hand they feel proud as children of political prisoners and on the other hand they believe that society has let them as" Forgotten victims".

The study showed that the children who have witness the arrest of their fathers suffered from more psychological problems than their peers who have not witnessed the arrestment of their fathers. It was noticed that all the participant children have experienced psychological suffering , that was severe with some of them, when the deal of " Wafa Al-ahrar" (Loyality of Freemen) has been concluded

because hundreds of long-period prisoners have been set free while fathers of those children stayed jailed.

With regard to family and society, this study shows that of have suffered from household_problematic life with continuous struggle between their mothers and the families of prisoned fathers. For some subject, divorce between their parents after father arrest.

On the society level, the study results indicate that there was decline in the social solidarity with the prisoners cause and this has effected negatively the children national identity as well as their psychological health.

The study concluded with number of recommendation and suggestions in the light of the research.

من تجربة الباحث

في غياهب السجون مغيبون ... وحكما لمدى الحياة يقضون.. ولهم أطفال "يتألمون ويتأملون".. أنهم الأسرى الفلسطينيون المؤبدون. هؤلاء المناضلون الذين ساروا على طريق تحرير وطنهم فدفعوا حريتهم ثمناً لذلك.

ما دفعني للكتابة عنهم والبحث في حياة أطفالهم هو إحساسي بقضيتهم، والذي تعمق من خلال تجربتي أنا أيضا في الاعتقال – وان كانت قصيرة– قياساً بهم.

فقبل 4 سنوات، وفي أثناء التحاقي ببرنامج الماجستير في علم النفس المجتمعي تعرضت للاعتقال على يد جيش الاحتلال لمدة عام ونصف العام.

رغم أن تجربتي في الاعتقال لم تكن الأولى ألا إنها وفي هذه المرة كان لها صبغة مختلفة، كونها جاءت قبل انتهاء الفصل الدراسي الثاني بأيام، وكنت حينها منغمساً بالدراسة وإكمال عدد من الأبحاث، التي كنت أجريها حول المشكلات النفسية للأطفال أبناء الأسرى الفلسطينيين.

كباحث مهتم بأبناء الأسرى فقد شكلت حياتي في الاعتقال أثمن الفرص للتقدم في البحث في قضية الأطفال أبناء الأسرى، وقد أتيح لي الالتقاء بعدد من الأسرى ذوي الأحكام العليا والتحدث معهم والاستماع لتجاربهم، وملاحظة أطفالهم أثناء زيارات الأهالي.

قضيت فترة اعتقالي في سجن مجدو[*]، والذي يعد من اكبر السجون لدى الاحتلال ويكتظ بالمئات من الأسرى، الذين توزعوا على أقسامه العشرة. وكان قسمي رقم (1) يحتوي على (12) غرفة اعتقالية، يزج في كل واحدة منها (10) أسرى.

في كل غرفة كان هناك تلفاز تحددت فيه القنوات الفضائية بحيث لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة. على شاشة ذلك التلفاز – والذي لم يكن ليتوفر داخل غرف الاعتقال لولا سلسلة من الإضرابات التي خاضها الأسرى عبر سنوات طويلة لتحسين ظروف اعتقالهم– كنا نجلس مساء كل خميس، في ظل صمت يخيم على غرف القسم كلها، حيث كان الجميع يتابعون برنامج لأجلكم[**]، والذي كانت تقدمه الإعلامية منال سيف عبر فضائية فلسطين.

برنامج "لأجلكم" كان له صدى واسع بين أوساط الأسرى وذويهم، فهو الوسيلة المحترفة التي قفزت على فجوة الزمان والمكان والأشخاص، ومدت جسور التواصل للأسرى القدامى وذوي الأحكام العليا مع عائلاتهم الممتدة وأماكن سكنهم، وكانت كاميرا البرنامج تنقل في كل حلقة أخبار عائلتين أو ثلاث من عائلات الأسرى، ويتم إجراء المقابلات مع

---

[*] سجن مجدو: "يقع في منطقة مرج ابن عامر ويتبع منطقة حيفا، حيث تقع إلى الشمال منه العفولة وجنوباً جنين وشرقاً بيسان وغرباً وادي عارة وقرى المثلث، ويتميز بالرطوبة الزائدة لأنه يقع في منطقة منخفضة عما يحيط بها. تم افتتاح معتقل مجدو للأسرى الأمنيين الفلسطينيين في آذار/مارس 1988 مع بدء الانتفاضة الأولى "(مجلة الدراسات الفلسطينية، 2014).

[**] برنامج لأجلكم (هو برنامج كان يقدم على تلفزيون فلسطين يتابع شؤون الأسرى ويساعد في تواصلهم مع عائلاتهم وخاصة ذوي الأحكام العليا والمؤبدة، تم إيقاف هذا البرنامج بقرار من تلفزيون فلسطين). سيف، منال (2015).

أفراد عائلة الأسير وأصدقائه، فضلاً عن العديد من المشاهد التي كانت تصور داخل قرية الأسير أو مدينته.

في ذلك البرنامج كنت أشاهد أبناء الأسرى ذوي الأحكام العليا والمؤبدة، كنت أشاهدهم وأنا داخل قيود الأسر، الأمر الذي جعلني أكثر إدراكاً لعمق مأساة هؤلاء الأطفال.

كنت أراهم يبكون تارة ويضحكون تارة، كنت أراهم يتألمون على فراق الآباء المحكومين لعشرات السنوات أو مدى الحياة ويفخرون بهم في الوقت نفسه. وكنت أتساءل وأتساءل، كيف يعيش هؤلاء الأطفال؟ كيف يحلمون؟ وكيف يتأملون؟ وهل الوطن في نظرهم يستحق التضحية؟ أم أن الواقع أحبطهم. كانت هذه الأسئلة منطلقي الرئيس لدراستي هذه، التي قادتني إلى مراجعة العديد من الأدبيات المتعلقة بالموضوع ثم الغوص في واقع هؤلاء الأطفال.

الفصل الأول

التعريف بالدراسة

المقدمـــة

تمثل مرحلة الطفولة قيمة وخصوصية في جميع المجتمعات باعتبارها المرحلة الأساسية من مراحل نمو الإنسان، وإذا ما أريد فهم شخصية الفرد فلابد من إلقاء الضوء على طفولته بما مر بها من أحداث وخبرات سارة وغير سارة خلال عملية التنشئة الاجتماعية (حسين، 2007).

وعند الحديث عن الأطفال الفلسطينيين لا بد من الوقوف على ما يتعرض له المجتمع الفلسطيني من عواقب سلبية جراء ممارسات الاحتلال كتدمير البيوت (شطي وهونت،2007)، وتهديد المستوطنين واستخدام مختلف أشكال العنف، فضلاً عن الاعتقالات التي طالت كل بيت فلسطيني، حيث من المؤكد بأن هذه الاعتقالات –التي لم تنج منها معظم الأسر الفلسطينية– قد تركت آثاراً سلبية في المقام الأول على الأطفال كونهم الفئة الأضعف من المجتمع.

وحتى يومنا هذا لا يزال يقبع في السجون الإسرائيلية أكثر من (7000 أسير) ومنهم من لديه أطفال، حيث تشير الإحصاءات أن (40%) من الأسرى الفلسطينيين الحاليين هم من الأسرى المتزوجين (مؤسسة الضمير لرعاية وحقوق الإنسان، 2016). وهذا بدوره يؤثر على الصحة النفسية للأبناء ومستقبلهم (زعول، 2007).

في هذا البحث سأتناول شريحة من هؤلاء الأطفال –أبناء الأسرى– لما لها من الخصوصية والفرادة ما يستدعي دراستها بشكل خاص، وهم الأطفال الذين يقضي آباؤهم أحكاما مؤبدة على خلفية سياسية.

وعند النظر إلى حكم المؤبد في إسرائيل نجد أن هناك نوعين من المؤبد، حيث يعرف أحدهما "بالمؤبد المدني" ويحدد بـ (25) عاماً ويصدر على قضية جنائية يقع فيها قتل. أما النوع الثاني فيسمى "المؤبد العسكري" وهو حكم غير محدد ويستمر لمدى الحياة، ويصدر على خلفية سياسية في قضية يقع فيها قتل أو جرح إسرائيليين، ويطلق على محكومي هذا النوع من المؤبد في إسرائيل "أصحاب الأيدي الملطخة بالدماء"، وعلى مدار سنوات طويلة من المفاوضات رفضت إسرائيل الإفراج عن هؤلاء الأسرى. وبالتالي فإن الأسير الفلسطيني المؤبد لديه الأمل القليل بالإفراج، وهذا بلا شك يضاعف من معاناة الأسرة والأطفال، الذين سيكونون محور هذه الدراسة.

ولأنه لا يمكن أن يدرس الطفل بمعزل عن الآخرين فقد اتجهت هذه الدراسة إلى البحث في حياة الأطفال الفلسطينيين من عمر (12–17سنة) أبناء الأسرى المؤبدين "في سياق الجماعة العائلية والمجتمع،.." بما يحيط به من عوامل سياسية وتاريخية وثقافية.

فالإنسان كائن اجتماعي بطبعه ولا يمكنه أن يعيش إلا في إطار جماعة لها عاداتها وتقاليدها وقيمها وعلاقاتها الإنسانية (جمعية تعليم الكبار، 1976، المشار إليه في أبو صبح، 2011).

إن الوعي للذات لا يعد نتاجاً فردياً بحتاً وإنما حصيلة مجموعة تفاعلات اجتماعية يكون الفرد مشبعاً بها، حيث يرى كل إنسان هويته بتبنيه وجهة نظر المجتمع الذي ينتمي إليه (أبو صبح، 2011).

وتتفق وجهات النظر المختلفة على أن انتماء الفرد لجماعة هو شرط أساسي لوجوده، والجماعة الفعلية في نظر Tajfel هي الجماعة التي لها الميزات العامة، ويشترك أفرادها في المصير نفسه (Tajfel, 1986).

ولعل هذه الحدود التي أوضحها Tajfel تساعد على إيجاد مميزات واضحة لكل جماعة. وبالتالي فهم الاختلافات بين الجماعات ما يخلق لأفرادها هوية اجتماعية إيجابية (حجيرات، 2008). لذلك تعمل الهوية الجماعية كمصدر للتكيف ويكون الالتزام بها عاملا يمنع الشعور بالتوتر الناجم عن اضطهاد الجماعات الأخرى. ويعتبر وعي الفرد بالهوية الجماعية مصدر حصانة ومناعة نفسية. وللهوية الجماعية مكونات عدة تشكل الهوية الوطنية إحداها. حيث تشتمل الهوية الوطنية على الإحساس القوي بالوعي الوطني من خلال السلوكيات التي ينتهجها الفرد كالمشاركة في النشاطات الوطنية. وتعمل الهوية الوطنية لدى الفلسطينيين على اعتبار إن القضية الفلسطينية قضية جماعية متعلقة بمجتمع وليست قضية أفراد بعينهم (أبو صبح، 2011).

إن تجربة الفلسطينيين مع الاحتلال عبر عقود تستلزم منهم تعزيز الهوية الوطنية وزيادة الشعور بالانتماء الوطني كوسيلة للحفاظ على الجماعة الفلسطينية داخل الوطن

المحتل، وبالتالي فإنني افترض في هذه الدراسة أن الهوية الجماعية الفلسطينية تساهم في تقوية عنصر الجلد والتوافق لدى الأفراد في ظل ممارسات الاحتلال وما يترتب عليها من تداعيات تؤثر في الصحة النفسية.

فعندما يعتقل فلسطيني على خلفية سياسية ويصدر عليه حكمٌ لمدى الحياة فإن ذلك بلا شك يترك آثاراً نفسية على أفراد أسرته لاسيما الأطفال إن كان متزوجا، لكن هذه الآثار قد تزداد شدتها فيما لو كان الاعتقال ليس على خلفية وطنية، بكلمات أخرى، إن الهم الجماعي والقضية الوطنية تحمل عن الأفراد جزءاً من المعاناة وتساهم في تقوية عنصر الجلد لديهم.

ما أود الخوض فيه هو أن الهوية الوطنية تختلف في القوة والعمق باختلاف السياق التاريخي وما يتعرض له المجتمع من انتكاسات وإحباطات خلال مرحلة التحرر الوطني. حيث تشير دراسة ستوزيل (1983) المقارنة التي شملت أكثر من (15) دولة إلى أن المجتمعات التي خاضت تجربة التحرر الوطني واستقلت ازداد عمق الهوية لدى أفرادها بينما قلَّت لدى المجتمعات التي عانت من الهزيمة بعد الحرب العالمية الثانية (محمود، الغولي، خلف، 2010).

بالعودة إلى سياقنا الفلسطيني نجد أن الهوية الوطنية قد لعبت دوراً إيجابيا خلال انتفاضة عام 1987م، حيث ساهم الشكل التنظيمي الخلاق لأداء القوى الوطنية إضافة إلى مواجهة سياسة الاحتلال وممارساته إلى الاهتمام بالفئات المشاركة في الانتفاضة وإبرازها

كتعظيم الشهداء والاهتمام بأسرهم فضلاً عن الاهتمام بالجرحى والمعتقلين وأسرهم، ما ساهم في زيادة اللحمة الشعبية وتعزيز وحدة البُنيَة الاجتماعية للانتفاضة في جو من الألفة والتضامن اللامحدود (سارة، 1988).

ويشير ميعاري (2004) في بحث ميداني عام 1994م إلى أن الهوية الوطنية الفلسطينية بين طلبة جامعة بيرزيت كانت هي الأقوى، تليها بحسب الترتيب الهوية المحلية (الانتماء إلى المدينة أو القرية أو المخيم)، ثم الهوية العربية، فالهوية الدينية، وأخيراً الهوية الحمائلية (ميعاري، 2004).

وبحلول مرحلة ما بعد أوسلو وما ترتب عليها من فشل تحقيق أهداف الشعب الفلسطيني بالحد الأدنى واستمرار التفاوض لفترة طويلة، واندلاع انتفاضة الأقصى ثم انتهائها بانقسام الشعب الفلسطيني حول مؤيدي نهج التفاوض ومؤيدي نهج المقاومة أدى هذا إلى خلق شرخ في الهوية الوطنية، ما ساهم في اغترابها (السائح، 2014). فقد بات خيار التحرر على حافة الهاوية في ظل حالة التناقض التي يعيشها الشعب الفلسطيني، ما بين مسألة بناء دولة عاجزة عن إصدار أي قرار وطني وتراجع دور منظمة التحرير الفلسطينية، والأحزاب الفلسطينية. وبين احتلال يلتهم الأرض ويحاصر الناس ويدفعهم إلى الهجرة من بيوتهم وأراضيهم ويتحكم بالحدود والاقتصاد (إسكافي، 2003).

ولا يمكننا إغفال دور المؤسسات التي انتشرت في مختلف أرجاء الضفة الغربية مخترقة النسيج الاجتماعي حيث أدت إلى تحويل جزء كبير من المجتمع إلى عمال

مأجورين، وبذلك أدت إلى إغلاق باب التطوع، إضافة إلى دورها في توريط نسبة كبيرة من المجتمع في القروض التي أنهكت المواطن الفلسطيني وحرفته عن واقعه، و"سلعت" القضية في الماراثونات والمؤتمرات السطحية والشكلية التي نظمتها تلك المؤسسات.

لذلك نجد اليوم أن القضية الوطنية لدى أبناء المجتمع الفلسطيني تم اختزالها في شريحة معينة من المجتمع، وهم عائلات الشهداء والأسرى، بينما نأى الكثير بأنفسهم عن القضية واستحقاقاتها، يعيشون تحت الاحتلال وكأنه لا وجود له، وهذا بلا شك يعكس ضعف الهوية الوطنية في المجتمع اليوم إذا ما قورنت بالحقب السابقة.

لقد تناولت هذه الدراسة الأطفال من الفئة العمرية (12–17)، وهي الفئة العمرية التي تقع بين الطفولة المتأخرة والمراهقة، لأن النظريات النفسية والاجتماعية أجمعت على أن مرحلة الطفولة والمراهقة هي المرحلة التي تتبلور فيها الهوية بمختلف مستوياتها الفردية والجماعية، فيرى "فروم" أن الحاجة إلى الهوية تأتي على سلم حاجات الوجود الإنساني، وتشكل جزءاً من طبيعة الإنسان خلال تطوره وارتقائه. وبقول آخر لا يمكن فهم النمو إلا عبر التفاعل بين الحاجات البيولوجية وتنظيم الأنا والسياق الاجتماعي. ويؤكد "إريكسون" على أهمية المجتمع الأوسع في تشكيل الهوية لدى الطفل متجاوزاً المثلث الفرويدي (الطفل، الأب، الأم) (الجزار، 2009). لذا فإن الطفل يشكل هويته من خلال تفاعله مع البيئة المجتمعية بما تحتويه من ثقافة وتربية وظروف سياسية واجتماعية. إذ يؤكد لنا علم النفس المجتمعي إن الفرد لا يمكن سلخه عن سياقه المجتمعي والسياسي والتاريخي. وبالتالي فإن

الطفل الفلسطيني اليوم هو نتاج تلك الأوضاع الراهنة التي جعلته يختلف عن طفل المرحلة السابقة.

إن هذه الدراسة تسعى إضافة إلى إلقاء الضوء على شريحة من أبناء الأسرى الذين تم حكم آبائهم بالمؤبد، فإنها تحاول معرفة دور الهوية الوطنية لهؤلاء الأطفال في مساعدتهم على التوافق النفسي. كما يؤمل أن تساهم هذه الدراسة في الخروج بمفاهيم نظرية تتعلق بالأطفال أبناء الأسرى وهويتهم الوطنية. إضافة إلى إمكانية الاستفادة من نتائجها في إعداد برامج إرشادية مجتمعية تعمل على تعزيز الهوية الوطنية كعامل يساعد في الحصانة النفسية ضد الآثار السلبية الناتجة عن الاعتقال لدى أطفال الأسرى وأسرهم.

مشكلة الدراسة

على مدار سنوات الاحتلال عانى الفلسطينيون من خبرات مؤلمة نتيجة ممارسات الاحتلال التي هدفت إلى محو الهوية الفلسطينية وإنزال شتى ألوان التعذيب النفسي والجسدي لإخضاع المجتمع الفلسطيني (حسين، 2007).

وتشير التقديرات إلى أنه تم تسجيل ما بين (750000) إلى (1000000) حالة اعتقال سياسي فلسطيني منذ بداية الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة عام 1967 (هيئة شؤون الأسرى والمحررين،2017)، وبالتالي لم تعد ظاهرة أن يكبر الأطفال الفلسطينيون دون وجود الأب في البيت ظاهرة غير شائعة.

وتتفق الدراسات العالمية على إن غياب الأب يؤثر في الصحة النفسية للأبناء وخاصة في الحروب والهجرات والسجون. حيث يؤدي غيابه إلى نقص وخلل في التكامل النفسي والاجتماعي لما له من دور فعال ومؤثر في التنشئة الاجتماعية للأبناء وخاصة في المرحلة المبكرة (علي، 2012). فقد أشارت دراسة Najafi (2007) إلى وجود فروق مهمة في الأعراض العاطفية ومشكلات التواصل والسلوك الاجتماعي لدى أبناء الأسرى في منطقة أصفهان. وفي المكسيك خلصت دراسة Rosa and others (2004) إلى أن الفرصة للضغط النفسي تزداد لدى أولاد المهاجرين أكثر من أطفال غير المهاجرين. أما في بريطانيا فقد توصل Joseph and David (2005) في دراسة بأن أثر سجن الوالدين على الأطفال يمتد حتى سن (32) عاماً، بالمقارنة مع حالات الانفصال الأخرى. أما في سياقنا الفلسطيني فقد خلصت دراسة زعول (2007) إلى أن أطفال الأسرى يعانون من الاضطرابات السلوكية.

ويزداد الأثر النفسي على الطفل ابن الأسير بزيادة الحكم الذي يقضيه الأب في الاعتقال، وهذا ما توصلت إليه دراسة حسين (2007)، حيث أشارت إلى أن مشاكل الانتباه والسلوك الجانح والعدواني يزداد لدى الأطفال الذين يقضي آباؤهم أحكاما تزيد على (10) سنوات.

قادتني هذه النتائج إلى إلقاء الضوء على شريحة من أبناء الأسرى الذين يقضي آباؤهم أحكاماً مؤبدة [أي لمدى الحياة] في الوقت الذي ينطفئ الأمل فيه بالإفراج عنهم عبر المفاوضات اليائسة مع إسرائيل، الأمر الذي يضيف بعداً آخر من المعاناة.

وبما أن الغياب القسري والمؤبد للآباء جاء على خلفية قضية وطنية فإنه لا يمكن إغفال دور هذه القضية والانتماء لها في التوافق النفسي لدى أطفال الأسرى. بكلمات أخرى إن سبب غياب الأب قد يزيد أو يقلل الأثر النفسي للغياب، وبالتالي فإنني افترض أن التوافق النفسي لدى هذه الشريحة من الأطفال سيكون في أدنى مستوياته إذا لم تعمل الهوية الوطنية والجماعية في مساعدتهم على التعايش والتأقلم على اعتبار أن سبب اعتقال الأب كان على خلفية النضال لقضية وطنية عادلة وأن الأب الأسير يعتبر مصدر فخر للابن والأسرة.

هذا ما سوف تستقصيه دراستي من خلال الأسئلة الآتية:

- ما هو مفهوم الهوية الوطنية الفلسطينية لدى الأطفال أبناء الأسرى المؤبدين؟
- كيف تؤثر حياتهم اليومية على تشكيل الهوية الوطنية لديهم؟
- وكيف انعكست هويتهم الوطنية على توافقهم النفسي؟

أهمية الدراسة

تنبع أهمية الدراسة من كونها تسلط الضوء على واقع السياق الفلسطيني بتجلياته السياسية والتاريخية للكشف عن مفهوم الهوية الوطنية وقوة الانتماء لدى الأطفال أبناء الأسرى في سجون الاحتلال ومدى انعكاس ذلك على الصحة النفسية لديهم. فالدراسة تسعى للتعرف إلى دور الهوية الوطنية في التوافق النفسي للأطفال في ظل غياب الأب لفترة طويلة في الاعتقال.

كما تنبع أهمية الدراسة أيضا من الفئة المستهدفة وهم أبناء الأسرى المؤبدين حيث أن فرادة هذه الشريحة من الأطفال تستدعي دراستها بشكل خاص، وهذا ما لم تتطرق إليه الدراسات السابقة، لذلك تعتبر هذه الدراسة الأولى من نوعها.

وتعتبر المنهجية التي استخدمتها الدراسة نقطة قوة تعطى أهمية أخرى لها، فقد اختلفت عن الدراسات السابقة التي تناولت العلاقة بين أسر الآباء وعدد من المتغيرات بطرق كمية، الأمر الذي أدى إلى إهمال العديد من الجوانب وظلت معظم الدراسات بعيدة عن العمق. لذا انطلقت هذه الدراسة من منطلق كيفي يهدف إلى التعمق في واقع هؤلاء الأطفال وتجاربهم، وباستخدام المقابلات المعمقة وتحليلها حسب النظرية المجذرة. فالمبحوث –كما يرى– (كناعنة ونتلاند، 2003) لا يمكننا أن نفهم نفسيته بشكل شامل وسليم إذا استثنينا منه تحليل الشخص المدروس لذاته وتجربته [وهذا لا يمكن أن يتم إلا بالمنهج الكيفي].

مصطلحات الدراسة

- **الهوية الجماعية:** "ذلك الجزء من المفهوم الذاتي للفرد، النابع من وعيه لكونه عضواً في جماعة (أو في جماعات) مضافة إليه الاعتبارات القيمية والعاطفية التي تحال إلى تلك العلاقة" (مكاوي، 2002).
- **الهوية الوطنية:** "هي مجموعة السمات والخصائص المشتركة التي تميز أمة أو وطناً معيناً، يعتز بها وتشكل جوهر وجوده وشخصيته المتميزة" (عبد الرحمن، 2010).

- وإجرائياً يعرف الباحث الهوية الوطنية: شعور الأطفال أبناء الأسرى الفلسطينيين ذوي الأحكام المؤبدة بالاعتزاز والفخر بالانتماء للوطن والارتباط المشترك بينهم وبين أفراد مجتمعهم.
- **التوافق النفسي:** "عملية ديناميكية مستمرة تتناول السلوك والبيئة الطبيعية والاجتماعية بالتغيير والتعديل حتى يحدث توازن بين الفرد والبيئة" (علي وشريف، 2004).
- **الجلد النفسي:** هو قدرة الفرد على النجاح والتطور إيجابياً بالرغم من تعرضه لحالة من الضغط أو الشدة التي يفترض أن تحمل في طياتها خطورة شديدة ومآلاً سلبياً (لعمش، 2016).
- **الأسير:** "هو الأسير المأخوذ في الحرب. وجمعها أُسراء، وأسارى وأسرى، وفقاً لمعجم لسان العرب، وبالعبرية تلفظ كما هي في العربية "אסיר": سجين أو أسير أو معتقل، والأسير الفلسطيني تم اعتقاله من قبل جيش الاحتلال الإسرائيلي منذ عام 1948 وإلى الآن، وأمضى في الأسر الإسرائيلي أكثر من ثلاثة أشهر وفقاً لمعايير منظمة الصليب الأحمر" (مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، 2017).
- **الأسرى المؤبدون:** هم الأسرى الذين يقضون أحكاماً لمدى الحياة في سجون الاحتلال على خلفية سياسية.

الفصل الثانـي

مراجعة الأدبيات

الفصل الثاني

مراجعة الأدبيات

تمهيد:

في هذا الفصل سوف أتطرق إلى الأدبيات التي تناولت موضوع الهوية الجماعية الوطنية من حيث مفهومها والنظريات المفسرة لها وفقاً للمنظورين النفسي والاجتماعي، ثم سأتناول الهوية الوطنية في السياق الفلسطيني وانعكاسها على الصحة النفسية للفلسطينيين، الذين يعيشون تحت الاحتلال، وعلى وجه التحديد الأطفال الذين يقضي آباؤهم أحكاماً لمدى الحياة في السجون الإسرائيلية، لمشاركتهم في النضال ضد الاحتلال.

الخلفية النظرية

إن المعايير الضرورية لعضوية الجماعة هي أن الأفراد يهتمون بتعريف أنفسهم وأن يكونوا معرفين من قبل الآخرين كأعضاء في الجماعة وهذا ما يطلق عليه الهوية الجماعية وفقاً لمنظور علم النفس الاجتماعي (Tajfel &Turner, 1986).

وبمجرد الانتماء إلى جماعة فإن الفرد يندفع إلى تكوين صورة إيجابية عن ذاته من خلال بناء تقويمات إيجابية لجماعته مقارنة بالجماعات الأخرى (جربان، 2012).

وعندما تكون الهوية الجماعية غير مرضية يسعى الأفراد إلى مغادرة جماعتهم الحالية وينضم بعضهم إلى جماعة أكثر تميزاً وإيجابية (Tajfel & Turner, 1986).

فالفرد دائم السعي لأن يكون تقديره الذاتي مرتفعاً، وهذا بلا شك يتأثر بجماعته التي ينتمي إليها، كون الهوية الجماعية لا تنفصل عن الهوية الفردية، وبالتالي فالجماعة الإيجابية تؤدي إلى تقدير ذاتي عالٍ والعكس صحيح.

وهذا ما أشارت إليه الأبحاث التي بينت أننا نعير انتباهاً أكثر ونظهر ثقة أكبر في المعلومات التي تدعم التقييم النفسي الإيجابي عندما نقوم بالمقارنات على مستوى الشخص وعلى مستوى المجموعة التي ننتمي إليها (Breakwell, 2004).

وقد رأى Sherif Muzafer في دراسته للهوية الاجتماعية عام 1936 أن ذات الفرد ومجموعته يتم فهمهما بشكل متداخل، حيث يمكن تشكيل الذات بشكل المجموعة، كما

يقوم الفرد بتقييم ذاته، أو قد يتم تشكيل المجموعة على أرضية الذات. كشعور الفرد بالافتخار لانتمائه للمجموعة. ولأن للذات أهمية كبيرة فإن المجموعة التي لا يمكن فصلها عن الفرد لها قيمة أيضا. وقد يعتبر الشخص أن الذات جزء من المجموعة أو أن المجموعة جزء من الذات وفي كلتا الحالتين لا يمكن عزلهم (Brewer & Hewestone, 2004).

ويتفق هذا مع ما جاء به Tajfel عندما اقترح أن الجماعات التي ينتمي إليها الفرد (سواء كانت عائلة أو عشيرة أو طبقة أو حتى فرقاً رياضية) تكون مصادر مهمة للتفاخر والتباهي وتقدير الذات. لذلك نحن نرفع مستوى وضع المجموعة التي ننتمي إليها بغرض رفع مستوى تصورنا الذاتي، ويمكننا أيضا أن نرفع تصورنا الذاتي بالتحيز ضد المجموعة الخارجية التي لا ننتمي إليها، لذلك نحن نقسم العالم إلى صنفين "نحن" و"هم" على أساس عمليات التصنيف الاجتماعي أي وضع الناس في مجموعة اجتماعية (زايد، 2006).

يقودنا هذا إلى إدراك الارتباط الوثيق بين الصحة النفسية لدى الفرد وهويته الجماعية. حيث أثبتت الدراسات بأن هناك علاقة إيجابية بين المراحل المتقدمة من تطور الهوية الأثنية [التي هي جزء من الهوية الجماعية] وبين تقدير الذات والتوافق النفسي من جهة أخرى، فالأشخاص الذين وصلوا إلى مراحل متقدمة من تطور هويتهم الأثنية كانوا ضالعين بالنشاطات السياسية والثقافية التي عبرت عن مضمون هويتهم وثقافتهم الأثنية (مكاوي، 2002، أبو صبح، 2011).

إن الصحة النفسية تعني أن يكون الإنسان متوافقاً مع نفسه ومع الآخرين، فالفرد "كائن اجتماعي"، ولا يمكنه أن يعيش بمفرده. وهذا ما أكده علم النفس المجتمعي عندما ظهر في ستينيات القرن العشرين حيث انصب على الاهتمام بدراسة سلوك الفرد ضمن سياق المجتمع باعتبار أن للسياق خصوصية (Nelson & Prilleltensty, 2009)، وأنه لا توجد منهجية واحدة لعلم النفس المجتمعي تدعي القابلية للتطبيق على جميع الناس والمجتمعات (Makkawi,2009)، وهذا يعني أننا لا نستطيع أن نفهم الحالة النفسية للفرد بمعزل عن السياق المجتمعي بما يحيط به من ظروف ومؤثرات سياسية واجتماعية واقتصادية.

فنحن كأخصائيين نفسيين لا يمكننا التعامل مع الظواهر النفسية وعلاجها بمعزل عن واقعها الذي نتجت فيه، وبمعزل عن السياق الاجتماعي والثقافي الذي يحتويها لتصميم آلية تدخل فعالة وناجحة (Burton & Kagan, 2003، المشار إليه في أبو صبح، 2011).

وبالتالي عندما ننظر إلى الحالة الفلسطينية التي تعاني ويلات الاحتلال منذ عقود عدة، وما نتج عنه من اضطهاد، فإننا نجد أن الصحة النفسية لأبناء الشعب الفلسطيني لا يمكن أن نفصلها عن هويتهم الجماعية وانتمائهم الوطني كما ذكرنا سابقا.

ولعل إدراك الفلسطيني لطبيعة هويته وماهيتها، قد يشكل عاملاً هاماً في تحقيق حالة التوافق النفسي والجَلَد حين يتعرض لأشكال متنوعة من العدوان العسكري الإسرائيلي،

والذي يضرب مقومات الصحة النفسية لديه. فالواقع الفلسطيني الذي توالت عليه احتلالات عديدة عبر حقب التاريخ من وصاية وانتداب واحتلال، لا يزال أفراده يعيشون تبعات الحرب منذ بداية الاستيطان وحتى هذه اللحظة، كالاجتياحات والاغتيالات والاعتقالات (أبو صبح، 2011).

ففي عام 1948 عانى الفلسطينيون من حالة اقتلاع جماعي عندما احتل الإسرائيليون حوالي (80%) من مساحة فلسطين (زغبيب، 2004). ويعتبر تهجير السكان الأصليين جزءاً من استراتيجية إسرائيل في الحرب الشاملة، حيث تم نقل مجتمع كامل من الناحية السياسية والاقتصادية والأيدلوجية بقوة القتال العسكري (Falah,1996). وتشير الأرقام إلى أن حوالي (805000) فلسطيني انتقلوا من مدنهم وقراهم عبر الحدود إلى لبنان والدول العربية الأخرى، بينما أخذ جزء آخر طريقه في الهجرة إلى الداخل الفلسطيني، أما الجزء الأخير فقد اتجه نحو الضفة الغربية وقطاع غزة (أبو دحو وآخرون، 2010). وبذلك تحول جزء كبير من أبناء الشعب الفلسطيني إلى لاجئين فاقدي القاعدة الاجتماعية والسياسية، ويبحثون عن استعادة مقومات هويتهم التي فقدوها، والخلاص من وصمة "لاجئ" (شطي وهونت، 2007). ضاق بؤس الحياة في المخيمات وأصبحت لديه "فلسطين هاجساً يومياً مستمراً وخزان ذكريات حزينة وأملاً بالعودة يوماً بعد يوم" (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1983).

لقد تركت كارثة 1948 والتي عرفت ب "النكبة"، صدمة عنيفة على المستوى العربي عموماً وعلى المستوى الفلسطيني بشكل خاص (مؤسسة الدراسات الفلسطينية،

1983)، فعاش الشعب العربي والفلسطيني حالة من الإحباط و"النقمة على الأنظمة العربية الحاكمة" بعد هذه الهزيمة.

وربما ساهمت النكبة في البداية بتدني نظرة الفلسطيني المشرد لذاته وجماعته، إذا قارنا ذلك بتجارب عالمية أخرى، حيث أن هناك دلائل كثيرة تتحدث عن ميل أعضاء المجموعات الأقلية أو التابعة (مثل السود الأمريكان) إلى الانتقاص أو الحط من قدر المجموعة التي ينتمون إليها واتخاذ اتجاهات إيجابية نحو المجموعات الأخرى المسيطرة. وعادة ما تعمل الجماعات التابعة على استدخال تقييم اجتماعي سلبي عميق لأنفسهم كَـ "وضيع" أو من "الطبقة الدنيا"، وهذا النقص اللاإرادي يعاد إنتاجه كانحطاط من قدر الذات (Tajfel & Turner, 1986).

وقد يتفق هذا مع ما توصل إليه Fanon عام 1963عندما قام بتحليل الاستعمار الفرنسي للجزائر، ووجد أن المستعمَر يستدخل ثقافة المستعمِر وتصبح بديلاً لثقافته، وهذا بدوره يؤدي إلى تقدير وتصوير ذاتي سلبي لدى المستعمَر، حيث يصبح المستعمِر مثلا يحتذى به، بينما ينظر المستعمَر إلى نفسه بشكل مهين (Fanon, 1963)، وتصبح الهوية العرقية لدى المستعمَر متمثلة بمجموعة من العواطف السلبية التي يحملها عن نفسه وعن أبناء وطنه (Paiz & Garcia, 2003، المشار إليه في ناصر، 2013).

لكن تقييم الفرد السلبي لجماعته المضطهدة من الممكن أن يتغير نحو الإيجاب عندما تخوض الجماعة المضطهدة تجربة التحرر من اضطهاد الجماعات الأخرى. فقد

كشفت الأبحاث التي أجريت في العقدين الأخيرين عن أنواع تغير في العلاقات داخل المجموعة، فالأمريكان السود، والكنديون الفرنسيون على سبيل المثال قد رفضوا التقييمات السلبية التي وضعوها على أنفسهم وطوروا هوية جماعية عرقية إيجابية.

هذا البناء للاتجاهات الإيجابية داخل المجموعة قد اتصل عادة بالنضال الجديد ضد الأوضاع السياسية والاقتصادية الموجودة (Tajfel&Turner,1986).

ويتفق ذلك مع ما جاء به جابر وسلامة (2003) حيث رأوا أن كفاح المقهور وتصديه لكل محاولات الاضطهاد والتمييز التي يقوم بها المستعمر ضده تؤدي إلى تبديد نظرية المستعمر وإفشالها؛ لأنها تزود المقهور بوعي زائف لواقعه وشعبه، كأن يغرس في ذهنه أن المجتمع مؤلف من أفراد، لكل منهم مصالحه الخاصة التي يجب عليه أن يهتم بها دون الاكتراث بالقضايا العامة (جابر وسلامة، 2003)، وهذا بالتأكيد يفكك المجتمع ويضعف اللحمة المجتمعية لدى أفراده.

لذلك فقد دعا فانون العبيد [المستعمَرين] أن يتوقفوا عن أن يكونوا عبيداً وأن عليهم إعادة إنسانيتهم المفقودة، "فالحرية لا تعطى وإنما تؤخذ ويدافع عنها"، فعندما يتغلب المظلومون على خوفهم، فإن الأسلحة المتفوقة والعنف والظالم تفقد قوتها (Fanon,1963).

بالعودة إلى السياق الفلسطيني فإننا نجد أن الهوية الوطنية قد مرت بمراحل عدة، فحين كان الفلسطيني في ظل النكبة يعاني من اليأس والإحباط وربما تدني النظرة للذات، جاءت الثورة الفلسطينية لإنقاذ الهوية الوطنية الفلسطينية من الذوبان والضياع، فتحول

اللاجئ الفلسطيني المشرد إلى مناضل صاحب مشروع تحرري وقضية عادلة، ما عزز الهوية الوطنية لدى الفلسطيني، حتى وإن سمي لاجئاً.

وتم تشكيل أحزاب فلسطينية منحت خصوصية للعمل الفدائي المستقل بعد خيبة الأمل من الأنظمة العربية، وظهرت على المسرح السياسي حركة فتح والتي ركزت على الهوية الفلسطينية واستقلال القرار الفلسطيني، مؤكدة بأن الهوية الفلسطينية هي هوية نضالية تهدف إلى إبراز الشعب الفلسطيني وإثبات وجوده (إسكافي، 2013).

وعلى الرغم من هزيمة الدول العربية عام 1967 واحتلال إسرائيل لباقي فلسطين (الضفة الغربية، وغزة) ونزوح ثانٍ للسكان الفلسطينيين، إلا أنهم استمروا بالمقاومة، وظهرت تنظيمات فلسطينية أخرى كالجبهة الشعبية التي انطلقت بعد "النكسة" بشهور، والتي تم تشكيلها من عدة تنظيمات صغيرة تابعة لحركة القوميين العرب (إسكافي، 2013).

وقد عملت الثورة الفلسطينية مستندة إلى الشعور الجمعي والحس الوطني على إحياء الهوية الوطنية الفلسطينية لدى الفلسطينيين في جميع أماكن وجودهم، وغيرت الميثاق القومي الفلسطيني إلى الميثاق الوطني الفلسطيني، وشددت في مواده على إبراز استقلالية الهوية الفلسطينية وخصوصيتها، واتسمت تلك الفترة بصعود الهوية الفلسطينية كهوية أولى وتراجُع الهوية القومية لدى الفلسطينيين (أبو ندا، 2014).

وقد ساهمت مجموعة من التطورات في تعزيز الهوية الوطنية الفلسطينية ومنها:

الأول: الاعتراف الدولي والعربي بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للشعب الفلسطيني في جميع أماكن وجوده.

ثانياً: طرد الفلسطينيين من الأردن ولبنان، وارتكاب المجازر بحقهم، وملاحقتهم أمنياً، وإهانتهم على الحدود في العديد من الدول العربية، فازدادت معاناتهم وجعلتهم يفقدون الثقة بالأنظمة العربية القومية وغير القومية.

ثالثاً: المحاولات الإسرائيلية لنفي الهوية الفلسطينية وطمسها.

رابعاً: تشكل المجتمع المدني الفلسطيني في الضفة وغزة والداخل، وارتباطه بمنظمة التحرير وفصائلها، وممارسته العمل السياسي والخدماتي معاً، الأمر الذى ساهم في تلبية جزء من حاجات الناس وعمل على زيادة الوعي السياسي لديهم، ما أدى إلى خلق نواة للعمل الجماهيري والسياسي المنظم ضد الاحتلال، وظهرت الأحزاب السياسية بين الفلسطينيين في الداخل لتدافع عن حقوقهم وهويتهم الفلسطينية.

خامساً: قيام فصائل منظمة التحرير باستخدام العمل العسكري ضد الاحتلال في قطاع غزة.

سادساً: معركة الكرامة ومعركة بيروت.

سابعاً: تعزيز منظمة التحرير نفوذها في الداخل المحتل بعد خروجها من لبنان عام 1982، من خلال خلق امتدادات قيادية وجماهيرية لها، وتشديدها على الوحدة الوطنية، وإبقاء الخلاف الفصائلي جانباً (هيبرغ وآخرون، 1994).

وبحلول الانتفاضة الأولى عام 1987 التي انطلق بها الشعب الفلسطيني داخل الوطن المحتل تعمقت الهوية الوطنية، وساهمت اللحمة الشعبية في الاستمرار بالنضال، ونشأت روح تضامن ثورية على حساب "العصبيات العائلية والتنظيمية والحمولية والمناطقية"، وشكلت هذه القيم أساس بناء جديد لمجتمع قادر على تحمل متطلبات الصمود وشروط الاستقلال. وقد لعبت المؤسسات الجماهيرية مثل الاتحادات والنقابات والجمعيات دوراً بارزاً في إنشاء جيلٍ جديدٍ تشبع بصور التضحيات والبطولات التي سطرها أبناء شعبه خلال نضالهم ضد الاحتلال، ما زود هذا الجيل بقيم جديدة هيأته للقيام بأعباء الثورة السياسية والاجتماعية التي مثلتها الانتفاضة، والتي كان الطفل عمودها الفقري. وتشير دراسة (قوته) حول الحالات النفسية للأطفال الفلسطينيين الذين تعرضوا للعنف خلال 1987-1994 إلى أن مستوى القلق النفسي لدى الأطفال الذين تعرضوا لصدمات ما زال كما كان قبل سنتين، مع ارتفاع الأعراض بشكل ملحوظ عند الأطفال الذين تعرضوا للعنف ولم يشاركوا بأية فعالية من فعاليات الانتفاضة. كما بينت الدراسة انخفاض القلق النفسي مع بقاء تقدير الذات كما هو عند الأطفال الذين شاركوا بالاحتفالات بعد أن كانوا قد شاركوا بالانتفاضة (نشوان، 1998).

وهذا يتفق مع ما توصلت إليه دراسة بكر وآخرين عام 1991 والتي أظهرت أن درجة تقدير الذات لدى الأطفال الفلسطينيين فاقت نظراءهم في العديد من البلدان الغربية ومنها الولايات المتحدة، وأوضحت الدراسة أن الأطفال الفلسطينيين يتمتعون بدرجة عالية من تقديرهم لذواتهم رغم ما يمرون به من ظروف بيئية وخبرات صادمة، وأشارت الدراسة إلى وجود عامل نفسي- اجتماعي- سياسي كان له الأثر في رفع مستوى تقدير الذات لدى الأطفال الفلسطينيين (بكر وآخرون، 1991)، وفي عام 1992 وجد عساف في دراسة أجراها أن الأطفال المشاركين في فعاليات الانتفاضة أظهروا توازناً انفعالياً ونفسياً أكثر من نظرائهم الذين لم يشاركوا (أبو هين، 2001).

وتشير نتائج المؤتمر الذي عقد في 10-6-1988 حول "أثر العنف الإسرائيلي على الصحة النفسية للطفل الفلسطيني" إلى الآثار الإيجابية على نفسية الطفل خلال مشاركته في فعاليات الانتفاضة والمواجهة مع جنود الاحتلال. مؤكدين على التغيرات الجذرية التي أحدثتها الانتفاضة على المجتمع الفلسطيني، كالتعاضد والتكاتف والتعاون بين مختلف فئات المجتمع، ما رفع من احترام الفرد لنفسه، وهذا ينطبق أيضا على الأطفال (كناعنة، 1988).

لكن اتفاق أوسلو عام 1993 وما تمخض عنه من تراجع في الخطاب السياسي الفلسطيني عندما تم تعديل (الميثاق الوطني الفلسطيني) الذي كان يعتبر الحركة الصهيونية حركة استعمارية ويطالب بالاستقلال الكامل لأراضي فلسطين (إسكافي، 2013)، ساهم – وربما إلى حد كبير- في تراجع الهوية الوطنية لدى الفلسطينيين، فتم الاعتراف بإسرائيل في

إطار الاعتراف المتبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في إطار ما سمي بعملية "السلام"، وتم قيام السلطة الوطنية الفلسطينية، لكن على أرض الواقع استمرت إسرائيل بالاستيطان ومصادرة الأراضي و"تهويد القدس" وإبقاء جزء من الأسرى.

ويرى القلقيلي أن إنشاء سلطة وطنية لشعب يعاني التشرد والاحتلال، يعني التحول إلى مجتمع يعيش ظروفاً اجتماعية عادية في ظل عدم استكمال التحرر الأمر الذي خلق التناقضات بين أفراده وشرائح المجتمع الفلسطيني، حيث إن الأهداف الوطنية لا يمكن إنجازها دون تجاوز التناقضات الاجتماعية واعتبارها تناقضات ثانوية، "وخلق وحدة وطنية وهوية وطنية موحدة في مواجهة الأعداء الخارجيين"، ويضيف بأنه في وضع كهذا فإن الشللية والعائلية والقبلية والحزبية والتطبيع مع الاحتلال تؤثر سلباً على الهوية الوطنية الفلسطينية (القلقيلي، 2012، 2015).

لذا فإن السلطة الفلسطينية لم توفق سياسياً في تحقيق وعودها للشعب الفلسطيني بإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس عاصمتها، وفي تحقيق حلم العودة وحل قضية اللاجئين بشكل عادل، من خلال مفاوضات السلام (Hilal,2010).

الأسرى الفلسطينيون المؤبدون

ثلاثة أرباع مليون فلسطيني وفلسطينية تعرضوا للاعتقال في السجون والمعسكرات الإسرائيلية على مدار سنوات الاحتلال، وهذا رقم قياسي لشعب لم يصل تعداده في الأراضي الفلسطينية إلى (4) ملايين (البرغوثي، 2010).

لقد عانت معظم العائلات الفلسطينية من غياب أحد أفرادها أو أكثر في الاعتقال، وحالياً ما يزال آلاف المعتقلين في سجون الاحتلال.

فئة من هؤلاء الأسرى يقضون أحكاماً لمدى الحياة، وهم من يعرفون بأصحاب الأحكام المؤبدة. يصل بعضهم لعشرات المؤبدات، علماً أن هناك عدداً منهم ما يزال قيد الاعتقال منذ أكثر من (30) عاماً رغم توقيع ما سميت بـ "اتفاقية السلام" بين الفلسطينيين والإسرائيليين، والتي بدأت بمؤتمر مدريد عام 1991 واتفاقية أوسلو عام 1993 وما تلاها من اتفاقيات، حيث بقي مئات الأسرى رهن الاعتقال بعد أوسلو.

وبالنظر إلى اتفاق أوسلو عام 1993 فقد اتضح في كافة جلسات التفاوض المتعلقة بقضية الأسرى أن الجانب الإسرائيلي فرض برنامجه على الطرف الفلسطيني مستخدماً سياسة التفرقة والتمييز بين المعتقلين، حيث قام بتصنيف المعتقلين حسب التهمة وحسب الانتماء أحياناً، انطلاقاً من منطق القوة والاحتلال والتفوق لتغيير الرؤية الفلسطينية لقضية الأسرى، محاولاً انتزاع الإقرار بشرعية هذا الاحتلال وإظهار النضالات الفلسطينية خلال مراحل الصراع بأنها باطلة وغير قانونية. وهذا ما برز في الموقف الإسرائيلي بما يتعلق

بقضية الأسرى الذين نفذوا عمليات عسكرية قُتِل فيها إسرائيليون ووصموا بـ "إرهابيين أياديهم ملطخة بالدماء" وأن لا مفاوضات بأي ثمن حولهم (قراقع والمطور، 1999).

وطوال (18) عاماً تقريباً، لم يتم الإفراج عن أسرى أدينوا بتهمة قتل إسرائيليين إلا لعدد ممن كانوا على فراش الموت، وبعد اطلاق سراحهم استشهدوا (أبو ريان، 2004).

إن تركيز إسرائيل على استثناء الأسرى الذين نفذوا عمليات قُتِل فيها إسرائيليون من أي نقاش أو حل، لهو دليل واضح على انعدام وجود دافع أو رغبة لدى الاحتلال في إرساء سلام وتعايش مع الشعب الفلسطيني (قراقع والمطور، 1999).

ومع اندلاع انتفاضة الأقصى عام 2000 –والتي جاءت نتيجة لفشل "اتفاقية السلام" مع الجانب الإسرائيلي– ازدادت أعداد الأسرى ككل، وارتفع عدد الأسرى ذوي الأحكام المؤبدة، حيث وصل عددهم (458) أسيراً –بحسب إحصائية مؤسسات الأسرى–، ومن بينهم قيادات فلسطينية، مثل: مروان البرغوثي القيادي في حركة فتح والمحكوم ثلاثة مؤبدات.

لقد أدرك أبناء الحركة الأسيرة والتنظيمات الفلسطينية أن قضية الأسرى المؤبدين وذوي الأحكام العليا لن تحل عبر المفاوضات، وإنما من خلال عمليات تبادل تقوم على أسر جنود إسرائيليين بأيدي التنظيمات الفلسطينية وإجراء صفقات تبادل. وهذا ما تم إثباته تاريخيا منذ عام 1971، حيث حدثت أول عملية تبادل أسرى بين إسرائيل وحركة فتح، إذ

أفرجت إسرائيل عن الأسير محمود حجازي –الذي يعتبر أول أسير للحركة الوطنية الفلسطينية– مقابل الإفراج عن جندي إسرائيلي (سكاي نيوز، 2016).

وأبرمت عام 1979 صفقة بين الجبهة الشعبية –القيادة العامة– وإسرائيل، حيث تم بموجبها مبادلة جندي إسرائيلي أسر في عملية الليطاني ب (76) أسيراً وأسيرة– بينهم (12) أسيرة فلسطينية (عبد الحميد، 2012).

وفي عام 1980، تمت عملية تبادل أسرى بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، حيث تم الإفراج عن جاسوسة للموساد (جهاز المخابرات الإسرائيلية) مقابل الإفراج عن الأسيرين مهدي بسيسو ووليام نصار، وتمت المبادلة في قبرص وتحت إشراف الصليب الأحمر.

وأجريت عام 1983 "أضخم" عملية تبادل للأسرى بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، حيث أفرجت المنظمة عن (6) جنود إسرائيليين، مقابل إفراج إسرائيل عن (4700) أسير فلسطيني كانوا معتقلين في معسكر "انصار[*]"، إضافة إلى (65) فلسطيني آخر كانوا معتقلين في سجون إسرائيلية أخرى.

---

[*] معتقل أنصار: هو معسكر أقامته إسرائيل بعد اجتياحها للبنان عام 1982 وجمعت فيه آلاف الأسرى الفلسطينيين واللبنانيين الذين اعتقلتهم عشوائيا من المدن والقرى اللبنانية، وسمي بأنصار نسبة لقرية أنصار في جنوب لبنان والتي أقيم على أراضيها (مركز الخيام لتأهيل ضحايا التعذيب، 2013).

وفي عام 1985 تمت عملية تبادل للأسرى بين إسرائيل وإحدى المنظمات الفلسطينية، حيث أفرجت الجبهة الشعبية –القيادة العامة– بموجب اتفاقية تبادل للأسرى عن (3) جنود إسرائيليين كانوا لديها مقابل الإفراج عن (1150) أسيراً من بينهم (153) لبنانياً.

وفي عام 2004 تمت عملية تبادل بين منظمة "حزب الله" اللبنانية وإسرائيل، والتي قامت إسرائيل بموجبها بإطلاق (400) أسير فلسطيني و(23) لبنانياً و(5) سوريين و(3) مغاربة و(3) سودانيين وليبي واحد وألماني واحد، إضافة إلى تسليم رفات (59) لبنانياً، مقابل تسليم حزب الله جثث (3) جنود إسرائيليين.

وقد أجريت آخر صفقة تبادل للأسرى عام 2011 عرفت بـ "صفقة شاليط" بين حركة حماس وإسرائيل، حيث قامت إسرائيل بالإفراج عن (1050) أسيراً مقابل الإفراج عن جندي إسرائيلي (سكاي نيوز، 2016).

أبناء الأسرى

لقد تعرض الأطفال الفلسطينيون خلال الانتفاضة إلى العديد من الخبرات والمواقف الضاغطة والمؤلمة المتعلقة بحياتهم الأسرية والمجتمعية، ويعتبر اعتقال أحد المقربين للطفل أصعب هذه الخبرات التي تؤثر على الجانب النفسي لديه، وخاصة إذا كان المعتقل هو الأب، حيث تشير الدراسات إلى أن اعتقال الأب في أغلب الحالات يشكل أزمة كبيرة لدى أفراد العائلة، ويكون له نتائج ذات تأثير كبير (Shehadeh & others, 2015).

وربما يتضاعف الأثر النفسي على الطفل اذا كان الأب المعتقل يقضي حكم "لأجل غير مسمى"، كما هو حال الأسرى ذوي الأحكام المؤبدة. وهذا ما تم التطرق إليه في مقدمة هذه الدراسة.

الهوية Identity

يشير مصطلح "الهوية" إلى "تنظيم دينامي داخلي معين للحاجات والدوافع، والقدرات، والمعتقدات، والإدراكات الذاتية، بالإضافة إلى الوضع الاجتماعي والسياسي للفرد، وكلما كان هذا التنظيم على درجة جيدة، كان الفرد أكثر إدراكا أو وعياً بتفرده وتشابهه مع الآخرين، وأكثر إدراكاً لنقاط قوته وضعفه. أما إذا لم يكن هذا التنظيم على درجة جيدة، فإن الفرد يصبح أكثر التباساً فيما يتعلق بتفرده عن الآخرين، ويعتمد بدرجة كبيرة على الآخرين في تقديره لذاته، كما ينعدم الاتصال بين الماضي والمستقبل بالنسبة له، فيفقد الثقة في نفسه وفي قدرته على السيطرة على مجريات الأمور، وبالتالي ينعزل عن حياة غالبية المجتمع الذي يحيا فيه، وهو ما يعرف بأزمة الهوية" (محيي الدين، 2017، ص 10).

نظرية الهوية الاجتماعية

ترى بأن هناك مركبين في مفهوم الفرد لنفسه، الهوية الفردية والهوية الجماعية، حيث أن الهوية الفردية تشتمل على صفات وقيم شخصية، بينما الهوية الجماعية تشكل نتاج معرفة الفرد ومشاعره تجاه عضويته في جماعته التي ينتمي إليها، وشعوره النفسي بالانتماء ووحدة المصير الذي يربطه ببقية أعضاء الجماعة (زايد، 2006).

وبالتالي فإن حاجة الأفراد وسعيهم إلى المحافظة على هوية اجتماعية إيجابية، تنبع من الحاجة إلى التقدير الذاتي والإيجابي، فضلاً عن أن الذات تعرف في اطار عضوية الجماعة (البداينة، 1999).

وتتعدد مسميات الهويات حسب المعايير التي تستخدم في تحديدها، الهوية الدينية والهوية القومية والهوية الوطنية والهوية السياسية والهوية النضالية وغيرها. وبالتالي فإن الهوية تتشكل نفسياً واجتماعياً وتتمايز عبر عمليات التربية والتشكيل والتطبيع الفردي والاجتماعي، وتتدخل عوامل ذاتية وداخلية وخارجية كثيرة في عمليات التشكل والتشكيل وفق قوانين معروفة في علم النفس وعلم الاجتماع وعلم السياسة. أما الهدف من نمو الهوية ورعايتها وتنميتها وتحصينها، فهو تحقيق حالة من الوعي يشعر فيها الفرد بذاته وتفرده وتميزه مقابل آخر أياً كان، وهذا الوعي بالتفرد هو الذي يعطي الفرد القدرة على أن يستثمر في العطاء، كما ينمي الانتماء المجتمعي والوطني والإنساني لديه، الأمر الذي يقوده إلى الشعور بالأمن والمشاركة وتوفير جو للإبداع والعطاء (المزعنن، 2017).

الهوية من المنظور السوسيولوجي

تحدثت الأدبيات النظرية حول تطور الهوية الأثنية لدى أبناء الأقليات، (والتي تعادلها الهوية الوطنية في الحالة الفلسطينية)، حيث ينقسم تطورها إلى ثلاث مراحل:

"المرحلة الأولى: مرحلة الهوية الأثنية غير المفحوصة، حيث يتقبل أبناء الأقليات بشكل أولي قيم الأغلبية ومواقفها وثقافتها بما في ذلك النظرة السلبية نحو جماعتهم وهي نظرية الأغلبية.

المرحلة الثانية: مرحلة التحري وفيها يستكشف ابن الأقلية الإحساس بهويته الأثنية وتأتي نقطة انعطاف أو حدثاً ذا أهمية.

المرحلة الثالثة: مرحلة إنجاز الهوية الأثنية، يظهر إحساسا ووعياً واضحين وواثقين بهويته الأثنية." (إسكافي، 2003).

وبتصوري عند النظر إلى الحالة الفلسطينية، فإننا نجد أن الهوية الجماعية الوطنية لدى أفراد المجتمع الفلسطيني قد تطورت عبر مراحل مشابهة لمراحل الهوية الأثنية التي سبق تناولها.

فالواقع الفلسطيني، والذي يعاني من الاحتلال الإسرائيلي عبر عقود عدة، مرَّ بأحداث ومنعطفات تاريخية كان لها دور إما بتفعيل الهوية الوطنية أو بتراجعها لدى الفلسطينيين.

ففي عام 1948 عانى الفلسطينيون من إحباط شديد نتيجة النكبة، عندما اقتلعوا وطردوا من وطنهم وعاشوا بؤس الحياة في مخيمات اللجوء، وفي تلك الحقبة التاريخية، لم تكن الهوية الجماعية الوطنية مفعلة، لسببين:

الأول: حالة الإحباط التي شهدها المجتمع العربي والفلسطيني بشكل خاص.

والثاني: بروز الهوية القومية (الانتماء العربي) في الوقت نفسه، لذا يمكن أن نسمي هذه الفترة بالمرحلة الأولى من تطور الهوية.

أما المرحلة الثانية فكانت أواخر الخمسينيات وبداية الستينيات مع انطلاقة الثورة الفلسطينية، وتشكيل الأحزاب الفلسطينية، وتحول الفلسطيني من لاجئ مقهور إلى مناضل وصاحب مشروع تحرري، وتعتبر هذه المرحلة هي البداية لظهور الهوية الجماعية الوطنية.

وجاءت المرحلة الثالثة مع اندلاع الانتفاضة الأولى عام 1987، حيث تعمقت الهوية الوطنية، وأصبحت أكثر تطوراً لدى الفلسطينيين.

لكن الاختلاف هنا–وبحسب وجهة نظري– مع ما طرح سابقاً من مراحل لتطور الهوية، هو أن الهوية لا تقف عند المراحل الثلاث، وإنما قد تتطور سلبياً عندما يعاني المجتمع من انتكاسة معينة، وبالتالي تدخل الهوية في مرحلة جديدة يمكن أن نطلق عليها مرحلة التراجع في الهوية، كما حصل في الحالة الفلسطينية بعد اتفاق أوسلو الذي أثر سلبياً على الهوية الفلسطينية عندما أقيمت سلطة وطنية في ظل عدم استكمال التحرر.

أما من المنظور السيكولوجي فقد عالج إريكسون مسألة الهوية من زاوية نفسية بحتة، والنقطة المركزية في نظريته: هي أن هوية الفرد تتشكل في كفاح طويل يبدأ في مرحلة المراهقة، ويتركز تركيب عنصرين أولهما: اكتساب القدرة على الإنتاج والعلاقة مع المحيط. وثانيهما: الإحساس بالاندماج في عالم معنوي مناسب. ويعتبر العنصر الأول

ضرورة كون الفرد بحاجة إلى تعريف نفسه للمجتمع الذي يحيط به، فحين يسألنا الناس من نحن؟ فإنهم لا يقصدون عادة الاسم الذي نحمله، بل موقعنا في شبكة العلاقات الاجتماعية، أي الدائرة الصغيرة التي ننتمي إليها ضمن الدائرة الاجتماعية الكبرى. وكذلك الوظيفة التي نقوم بها ضمن هذه الدائرة. لذلك لا يكتفي الفرد بذكر اسمه الأول بل يضيف إليه اسم العائلة، ثم يلحقه بتعريف ربما يشير إلى المهنة أو الهواية أو المكانة. وحين يعرف الإنسان نفسه فإنه يستخدم وصفاً يتوقع قبوله من جانب المحيط، كتمهيد للاندماج فيه. وهذا يقودنا إلى العنصر الثاني وهو حاجة الفرد إلى عالم ذي معنى يتيح له التمتع بقدراته والحصول على المكافأة المناسبة إزاء ما يفعل.

وتعتبر نظرية إريك إريكسون حول التطور النفسي والاجتماعي من أهم النظريات التي تحلل بمنطقية علمية مراحل نمو الإنسان ومؤثرات تكونيه الشخصي والسلوكي، وأحد أهم عناصر نظرية إريكسون هو تطور "هوية الذات"، وهوية الذات هي "الإدراك الواعي للنفس التي نطورها من خلال التفاعل والتواصل الاجتماعي" (مؤسسة لجان العمل الصحي، 2017).

ويرى إريكسون أن الطفل خلال تطوره النفسي والاجتماعي يمر بثمان مراحل، وهي عبارة عن مجموعة أزمات يلتقي فيها النضج الفطري مع القيم الاجتماعية. وبوصول الفرد إلى المرحلة الخامسة فإنه يبدأ بتشكيل هويته، وتسمى هذه المرحلة أيضا بمرحلة "الضياع" وهي تقابل مرحلة المراهقة، وفيها يتم تقبل الأدوار الاجتماعية وتحديد معايير ومستويات مثالية تقوده فيما يقوم به من سلوك في هذه المرحلة، وتتمثل الأزمة في تكوين الهوية، ويحل

الصراع إما بتكوين هوية إيجابية أو هوية مضطربة ومشوشة، ويكون للمجتمع أهمية كبرى في هذه المرحلة وبالخصوص في الأشخاص المحيطين بالمراهق، حيث يبدأ التساؤل عن هويته ومعتقداته وعن موضوعات مختلفة، وفي حال لم يجد أجوبة مقنعة ومرضية ينشأ القلق لديه (سعاد، 2013).

وبناء على نظرية إريك إريكسون في التطور النفسي الاجتماعي حاول جميس مارشيا Marcia أن يجسد أفكاره ويطبق مبادئه النظرية، ووضع أربعة مستويات تمثل الأساليب المختلفة لمواجهة "أزمة الهوية" (محمد، 2000)، حيث ينتقل فيها الأفراد من الأقل نمواً إلى الأكثر تقدماً كالآتي:

1. مستوى الهوية المشتتة: في هذا المستوى لم يَخْبر الفرد حتى الآن أزمة الهوية، ولا أي التزام للمعتقدات أو الأدوار، ولا توجد أيضا دلائل على أنه يحاول بشكل نشيط إيجاد سمة للهوية لديه.
2. مستوى الهوية المغلقة: في هذا المستوى، لم يَخْبر الفرد أزمة الهوية، لكنه مع ذلك ملتزم بقيم ومعتقدات مرتبطة بالأشخاص المهمين كالأسرة.
3. مستوى الهوية المعلقة/ المؤجلة: الفرد في هذا المستوى يكون في حالة أزمة، وهو نشيط بشكل كبير في البحث حول البدائل في محاولة للوصول إلى خيارات الهوية.
4. مستوى الهوية المنجزة: يكون الفرد قد نجح في التزاماته ويشعر بالإنجاز، ويتعهد حول العمل والأخلاقيات والأدوار الاجتماعية (Pennington and others, 2001,p. 7).

ويرتبط الانتقال من المستوى الأقل نمواً إلى المستوى الأكثر تقدماً بالفرص الاجتماعية التي ينالها الفرد وتعزيز مفهوم الذات لديه، بما يؤكد له مكانته وأهمية أدائه لأدواره بما يناسب اجتماعياً (حمود، 2011).

ويرى "مارشيا" أن مستوى الإنجاز هو أكثر هذه المستويات نضجاً من الناحية النمائية، وهو بذلك يتفق جوهرياً مع نظرية إريكسون، يليه مستوى التأجيل والذي يعتبر مستوى انتقالياً يبدو فيه الفرد وكأنه يحقق هويته، ثم يأتي بعده مستوى الانغلاق، ويتميز بقدر من الثبات، أما مستوى الانتشار فهو أقل هذه المستويات نضجاً، وهذا يتفق أيضا مع نظرية إريكسون (محمد، 2000).

دور الأب في تشكيل الهوية للأبناء

تعتبر الأسرة كجماعة أولية حلقة الوصل بين الطفل والثقافة الاجتماعية السائدة في المجتمع، وهي التي تقوم بتحويله من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، ومن خلالها يستمد الطفل صورته عن ذاته (المرشدي، 2011).

يمثل الأب بالنسبة للأبناء دور الحاكم الموجه لنظام الأسرة، والضابط لمدى التزام أفرادها بالنظام والأحكام، وتبعا لذلك، يسهم الأب في تشكيل الهوية الذاتية للأبناء، تأكيداً لبناء الذات العليا والضمير واكتساب القيم الخلقية (زعول، 2007). لذا فإن غياب الأب يؤدي إلى نقص في التكامل النفسي والاجتماعي للطفل، وخاصة في المرحلة المبكرة (علي، 2012).

وفي السياق الفلسطيني فقد شاعت ظاهرة أن يكبر الأبناء بدون أب جراء الاعتقالات السياسية التي قامت بها سلطات الاحتلال الإسرائيلي، والتي طالت مئات الآلاف من أبناء الشعب الفلسطيني عبر سنوات الاحتلال.

وتشير دراسة Amer Shehadeh & others إلى أن تأثير اعتقال الأب مهمٌ بشكل خاص للمراهقين الذين يمرون خلال عمليات تطور الهوية الاجتماعية في مرحلة التطور العقلية، وكون الأب في هذه المرحلة يشكل دور النموذج والحاني فإن غيابه قد يعيق إلى حد كبير تطور الهوية (Shehadeh & others, 2015).

التوافق النفسي للأطفال أبناء الأسرى المؤبدين

يعد التوافق النفسي مظهراً من مظاهر الصحة النفسية وهو من أكثر المصطلحات استخداماً في العلوم النفسية والاجتماعية، وقد استمد هذا المفهوم من علم البيولوجيا الذي استخدمه تحت مفهوم التكيف Adaptation، أما في المجال النفسي فقد تم استخدامه تحت مصطلح التوافق Adjustment والذي يعني التآلف والانسجام (حسين وعبد اليمة، 2011).

الفرق بين التوافق والتكيف: عند النظر إلى مفهومي التوافق والتكيف فإننا نجد أن هناك تداخلاً بينهما، وعلى الرغم من هذا التداخل والتشابه بينهما ألا أن هناك فروقاً بينهما، حيث أن التوافق أكثر قرباً من الإنسان في سعيه لتنظيم حياته ومحاولته حل مشاكله وفي إشباع حاجاته وصولاً إلى ما ندعوه بالصحة النفسية، فالتوافق يعبر عن مفهوم إنساني، وفشل الفرد

في انسجامه وتناغمه مع ذاته وبيئته الاجتماعية والطبيعية التي يعيش فيها يجعله سيء التوافق، وبزيادة هذا القدر كمياً يقترب الفرد من المرض النفسي (العصاب). أما مفهوم التكيف فإنه أشمل من التوافق، ويعني تكيف الكائن الحي سواء كان إنسانا أم نباتاً أم حيواناً إزاء بيئته التي يعيش فيها، وبذلك قد تحدث تغيرات وتحويرات في كيان الكائن الحي لمواجهة الصعوبات والمتطلبات التي تفرضها البيئة عليه ليتمكن من العيش والتكيف فيها، أي يُمكِّن نفسه لهذه البيئة (داود، 1988).

وتعتبر التنشئة الاجتماعية من أهم العوامل المؤثرة في التوافق النفسي، كونها تهدف إلى إكساب الفرد أنماط السلوك السائدة في مجتمعه، بحيث يتمثل القيم والمعايير التي يتبناها المجتمع، وتصبح قيماً خاصة به، ويسلك أساليب تتسق مع تلك المعايير والقيم بما يحقق له المزيد من التوافق نفسياً واجتماعياً. لذا فإن التنشئة الاجتماعية السليمة تحتاج إلى توفير الجو الاجتماعي الصالح، المتمثل في وجود أسرة مكتملة تضم الأب والأم والأخوة: حيث يلعب كل منهم دوراً في حياة الطفل.

فالروابط الاجتماعية الجيدة بين أفراد الأسرة الواحدة والجو العاطفي الحميم للأسرة له دورٌ هامٌ وفعالٌ في نمو الطفل النفسي، لذا يمكن اعتبار العلاقات الأسرية الاجتماعية محور التفاعل التربوي والاجتماعي النابع من سلوكيات واجتماعيات يؤمن بها أفراد الأسرة أنفسهم ويتأثر بها الطفل. فالقيم الإيجابية في الأسرة كالحب والمساواة والمشاركة وتقبل الآخرين تساعد الطفل في تكوين شخصية اجتماعية سوية بين الأفراد في المجتمع المحيط (أبو الجديان، 2015).

ومع التسليم بأن الأسرة هي أقوى الجماعات تأثيراً في سلوك الطفل، إذ يكتسب عن طريقها معاييره الخلقية ومن خلالها يبني دعائم شخصيته وتتحدد أنماط تفكيره وتوافقه الشخصي والاجتماعي (بلبيسي، 2005). فإن غياب أحد ركنيها (الأب أو الأم) يؤثراً سلبيا على الأبناء، وهذا ما أكدته نتائج الدراسات والبحوث التي بينت أهمية وجود الأبويين في حياة الأطفال وخاصة في مراحل النمو الأولى في التكوين النفسي السليم للأبناء، وغياب هذا الوجود عن طريق الطلاق أو غيره من الأسباب، ربما يؤدي إلى العديد من المشكلات النفسية والانفعالية للأطفال (العجمي، 2014).

وعند النظر إلى دور الأب في الأسرة، فإننا نجد أن علاقة الأب بأطفاله لا تقل أهمية عن علاقتهم بأمهم، إذ يشكل كل من الوالدين تكاملاً في الدور بالنسبة لتربية الطفل وتنشئته، فللأب أثر حاسم وهام في تعريف الطفل بوظيفته الاجتماعية وفي مقدرته على الاتصال بالذكور، وفي تكوين المفاهيم الذاتية، وفي تقبله لحقيقته الجنسية، أي لنوع الجنس الذي ينتمي إليه طفله وشعوره بالأمن والطمأنينة.

لذا فإن غياب الأب يؤثر على استقرار الأسرة واستمرارها وعلى شخصية أفرادها و مستقبلهم المدرسي ومركزهم الاجتماعي المهني، وهذا ما أشارت إليه دراسة سفانيوم (1969) من أن درجات مقياس الذكاء والتحصيل كانت لها دلالة منخفضة لدى كل من الأطفال الذين حرموا من الأب مقارنة بدرجات الأطفال الذين يعيشون مع الوالدين. وفي عام 1982 قارنت دراسة بيري بين مجموعتين من الأطفال، حيث يعيش أفراد المجموعة الأولى

مع آبائهم، أما المجموعة الثانية فهم أطفال حرموا من آبائهم، وبينت النتائج أن هناك فروقاً دالة إحصائيا بين المجموعتين على مقاييس التحصيل، ولصالح المجموعة الأولى.

ويرى Winnicott أن الأم لكي تتمكن من تحقيق احتياجات طفلها الأساسية، يجب أن يوفر لها المحيط الجيد لذلك، وهذا المحيط يتوفر بوجود الأب، وإضافة إلى ذلك فقد أشارت الدراسات إلى أن "الاضطرابات النفسية الخطيرة للطفولة (الذهانات) كانت أكثر انتشاراً في الأسر الغائبة الأب (جسمياً وعاطفياً)، مقارنة بالأسر التي يمثل فيها الأب القاعدة أو القانون إذا لم يتحمل الأب مسؤوليته ودوره، ويضطرب كل السلم المرجعي للطفل خاصة إذا لم يجد بديل للأب يقلده" (سعاد، 2013).

أما في سياقنا الفلسطيني فهناك آلاف الأطفال الذين حرموا من آبائهم المعتقلين لدى الاحتلال، ما كان له أثر على توافقهم النفسي والاجتماعي، وهذا ما أشارت إليه الدراسات، فقد خلصت دراسة زعول (2007) إلى إن أطفال الأسرى يعانون من الاضطرابات السلوكية.

ويزداد الأثر النفسي على الطفل ابن الأسير بزيادة الحكم الذي يقضيه الأب في الاعتقال، وهذا ما أكده حسين (2007) والذي أشار إلى أن مشاكل الانتباه والسلوك الجانح والعدواني تزداد لدى الأطفال الذين يقضي آباؤهم أحكاما تزيد على (10) سنوات.

لكن الحرمان من الأب بسبب الاحتلال قد يكون له أثر مختلف في سياقات معينة، عندما يكون المجتمع داعماً، وهذا ما خلصت إليه دراستي بكر وآخرون (1990) المشار إليها في (دياب، 2006؛ ووادي، 2004)، حيث وجدتا أن شعور أبناء الأسرى بالفخر

بآبائهم منحهم شعور احترام الذات، وأن تقدير المجتمع لهؤلاء الأطفال جعلهم يشعرون بالثقة بأنفسهم والرضى عن الذات، ما يوصلهم إلى التوافق النفسي والاجتماعي. فنظرة المجتمع إلى أبناء الأسرى نظرة إيجابية؛ لأن آباءَهم دفعوا الثمن وضحوا من أجل قضية شعبهم الوطنية، وكذلك الدعم المادي والمعنوي لأطفال الأسرى من قبل جيرانهم وأقاربهم، جعل درجة توافقهم النفسي والاجتماعي متوسطة، وخفف عنهم الشعور بالمعاناة النفسية.

يقودنا ذلك إلى أن التوافق النفسي للأطفال أبناء الأسرى يتأثر بالواقع الأسري الذي يعيشونه، وكذلك المجتمع ونظرته ودعمه لهؤلاء الأطفال.

الجلد النفسي والتوافق

يعود استخدام مفهوم الجلد في علم النفس إلى عام 1950 عندما قامت الأخصائية والباحثة النفسية Emmy Werner بإجراء دراسة تتبعية حول (700) طفل في هاواي يعانون من هجر وحرمان عاطفي وصحة متدهورة وسوء معاملة، وبعد (30) سنة من تتبع الأطفال وجدت أن (72%) من هؤلاء الأطفال تطوروا بشكل كارثي، لكن المفاجئة كانت في أن (28%) منهم قد تمكنوا من العمل وتعلموا حرفة، وقاموا بتأسيس عائلات، ولا يعانون من اضطرابات نفسية، الأمر الذي شكل لديها رغبة في البحث عن العوامل التي جعلت هؤلاء الأطفال غير قابلين للتحطيم. إذ ساهمت كل الملاحظات التي استنتجت من هذه الدراسة في وضع قواعد التحليل الوظيفي للجَلَد كنتيجة لتوازن النمو بين مواجهة عوامل خطرة ومهددة خارجة، وأيضاً القابلية للجرح. ومن جهة أخرى عوامل الحماية الداخلية للفرد، مثل: روح

الدعابة، وتقدير الذات، والاستعداد المعرفي. والعوامل الخارجية، مثل: مصادر الدعم كالعائلة والعمل والأصدقاء (لحمر، 2016).

لذا فإن الفرد عندما يكون على درجة من الجلد النفسي، فإن ذلك يشكل أهم عوامل التوافق السوي لديه، كون التوافق يساعد في إزالة ما يحدث من توتر، للحفاظ على التوازن الداخلي والخارجي للفرد. وبالتالي فإن الجَلَد يعتبر خاصية مهمة يكتسبها الفرد من خلال مجموعة من العوامل تتعلق بالفرد بحد ذاته، كالمشاعر الإيجابية والجانب الديني، وأيضاً عوامل تتعلق بالبيئة المحيطة، كالدعم الأسري والاجتماعي، مما يعزز قدرات الفرد في مواجهة الأحداث الضاغطة التي قد تواجهه في حياته، وتكسبه مرونة التوافق مع الأحداث والمواقف السلبية (لعمش، 2016).

الفصل الثالث

الطريقة والإجراءات

الفصل الثالث

الطريقة والإجراءات

يتضمن هذا الفصل وصفاً للطريقة والإجراءات التي اتبعها الباحث في الدراسة وصفا لمنهجية الدراسة.

منهج الدراسة

خلال العقدين الماضيين أُجريت العديد من الدراسات التي اتجهت للبحث في حياة أبناء الأسرى الفلسطينيين، محاوِلةً التعرف على الآثار النفسية والسلوكية والاجتماعية على الطفل نتيجة غياب الأب في الأسر.

لكن هذه الدراسات –والتي تمت مراجعتها– بقيت سطحية حين اعتمدت على المنهج الكمي في جمع بياناتها وتحليلها، حيث ظلت بعيدة عن التعمق والتغلغل في واقع هؤلاء الأطفال.

لذلك تفردت هذه الدراسة باتباعها المنهج الكيفي للتعرف على دور الهوية الوطنية في التوافق النفسي لدى أبناء الأسرى ذوي الأحكام المؤبدة. ولأننا بحاجة إلى التعمق و"الانغماس" في واقع وحياة هؤلاء الأطفال والاستماع لتجاربهم ووجهات نظرهم، فإن المنهج الكيفي يفي بالغرض. إذ يتيح الفرصة للدخول إلى أعماق الظاهرة المدروسة "وتقصي

أبعادها بشكل شمولي"، الأمر الذي يفتقده المنهج الكمي والذي ينحصر في عدد من المتغيرات أو العوامل ويتعامل معها بشكل سطحي.

لذا يشكل البحث الكيفي بحد ذاته منهجاً مرناً يختلف عن الأرقام التي تعطى كنتائج في البحث الكمي، الذي يأخذ الرقم بشكل غير قابل للتغيير. من غير فهم للتجارب أو الخبرات الشخصية المشبعة بالجانب الشعوري الذي يحتاج إلى حسن الاتصال والتواصل بكافة حواس الباحث مع المبحوث (ناصر، 2013).

فدراسة الموضوعات في المجال الإنساني لا يمكن أن تختزل إلى عمل آلي، كونها تتطلب اكتشاف التداخل والروابط بين القضايا المختلفة، ما يوفر الفهم المجمل للواقع (فريري، 2003).

مجتمع الدراسة

تمثل مجتمع الدراسة الحالية في الأطفال والمراهقين أبناء الأسرى السياسيين الفلسطينيين ذوي الأحكام المؤبدة في محافظات نابلس– جنين– طوباس، وهؤلاء الأطفال هم طلبة من الذكور والإناث ينتظمون بالدراسة في المدارس الحكومية، ويقعون ضمن الفئة العمرية من (10–17) سنة.

لقد وقع اختياري على هذه الفئة من الأطفال أبناء الأسرى، لما لهذه الشريحة من خصوصية تستدعي دراستها بشكل فريد، فهم أطفال حُرِموا من آبائهم الأسرى الذين يقضون

أحكاماً لمدى الحياة في سجون الاحتلال، وليس لديهم تاريخ إفراج، وهذا –بحسب اعتقادي– يضيف بعداً آخر للمعاناة.

أما فيما يتعلق بمكان الدراسة، فقد اخترت أن تكون في نابلس وجنين وطوباس لأن نسبة كبيرة من الأسرى ذوي الأحكام المؤبدة هم من أبناء هذه المحافظات، حيث يشكلون (25%) من مجموع الأسرى المؤبدين، تبعاً لإحصائية هيئة الأسرى والمحررين لعام 2015.

وقد تم إجراء (19) مقابلة في الفترة الواقعة ما بين (أيار ____ كانون الأول /2015) مع أبناء أسرى مؤبدين تراوحت أحكامهم ما بين مؤبد ____ 23 مؤبداً.(*)

المشاركون في الدراسة

شارك في الدراسة الحالية مجموعة من الأطفال والمراهقين أبناء أسرى فلسطينيين حكموا بالمؤبد في سجون الاحتلال على خلفية قضية وطنية.

وقد تم اختيار هؤلاء المبحوثين بطريقة قصدية مع مراعاة عدد من الخصائص كالعمر، والجنس، ومكان السكن. لإثراء الدراسة وإمكانية الفهم الشمولي أكثر. وتراوحت أعمارهم ما بين (12–17) سنة من الذكور والإناث.

(*) ملاحظة: هدفت الدراسة أن تتناول الأطفال أبناء الأسرى ذوي الأحكام المؤبدة ضمن الفئة العمرية 10_17 سنة، لكن تعذر إيجاد أطفال من عمري 10 و11 سنة لذلك تم حصر الفئة العمرية من 12–17 سنة.

وهم طلبة مدارس في ثلاث محافظات: نابلس، وجنين، وطوباس ينتظمون بالدراسة في مدارس حكومية، تابعة لأربع مديريات تربية، وهي مديرية تربية نابلس، مديرية تربية جنوب نابلس، مديرة تربية جنين، مديرية تربية طوباس.

وقد شملت الدراسة (19) طفلاً (10 ذكور، و9 إناث) موزعين كالآتي:

- محافظة نابلس (11) طفلاً، (6 ذكور، و 5 إناث).
- محافظة جنين (4) أطفال، (3 ذكور، و 1 إناث).
- محافظة طوباس (4) أطفال، (3 ذكور، و 1 إناث).

وحفاظاً على خصوصية المبحوثين تم إعطاؤهم أسماء مستعارة، وتم حذف بعض المعلومات المتعلقة بهم والتي تتوفر لدى الباحث، حرصاً على عدم إمكانية التعرف عليهم.

صفات المبحوثين

كما ذكرتُ سابقا تم إعطاء المبحوثين أسماء مستعارة:

الأولى: إسراء عمرها (15) سنة، ابنة أسير محكوم بالمؤبدين، حيث اعتقل أبوها عام 2003، ولم يكن عمرها يتجاوز السنتين، تقيم مع جدتها وأختها في منطقة نابلس، بعد أن تطلقت الأم وتزوجت في مكان آخر.

ثانياً: سجى، وهي أخت إسراء، وتبلغ من العمر (12) سنة، اعتقل أبوها قبل أن ترى عيناها النور حيث كانت أمها حاملاً بها.

ثالثاً: رائد طالب في الصف الثامن عمره (13) سنة، لم يكن عمره يتجاوز الأيام عندما اعتقل أبوه وحكم بثلاثة مؤبدات.

رابعاً: سعد من مدينة نابلس عمره (16) سنة، وهو ابن أسير محكوم بأربعة مؤبدات، يعيش مع أمه وأخيه وأخته وهو أكبرهم سناً.

خامساً: سناء أخت سعد، وهي طالبة مدرسة في الصف الثامن وعمرها (13) سنة.

سادساً: جلال وهو أخ لسعد وسناء، اعتقل أبوه وعمره شهران.

سابعاً: ربى عمرها (16) سنة، اعتقل أبوها عام 2004 وحكم مدى الحياة. تعيش في إحدى قرى نابلس، وقد تعرض منزلهم للهدم سابقاً.

ثامناً: حسن الأخ الأصغر لربى، وعمره (15) سنة.

تاسعاً: حمد ويبلغ من العمر (16) سنة، يقيم في إحدى قرى جنين مع أمه وأخته الوحيدة، وهو الآن طالب في الصف العاشر، اعتقل أبوه منذ انتفاضة الأقصى وحكم لمؤبدين.

عاشراً: سمير عمره (15) سنة، يقيم مع أمه وأخته الوحيدة في إحدى قرى جنين، ولم يكن سمير يتجاوز السنتين من العمر عندما اعتقل أبوه وحكم لمؤبدين.

أحد عشر: حاتم البالغ من العمر (14) عاماً، هو ابن أسير محكوم بمؤبدات عدة، أبوه الآن في مستشفى سجن الرملة حيث يعانى عدة أمراض أصيب بها خلال فترة وجوده في السجن، أفقدته القدرة على الحركة، يقيم حاتم مع أمه وأخته.

اثنا عشر: حياة عمرها (15) سنة، وهي طالبة في الصف العاشر أخت حاتم.

ثالث عشر: سلوى كان عمرها (8) سنوات عندما اعتقل أبوها عام 2004، تعيش في إحدى قرى طوباس مع أمها وإخوتها، وهي طالبة في الصف الحادي عشر. يعاني أبوها المحكوم بـ (10) مؤبدات من شلل نصفي نتج عن إصابته قبل الاعتقال.

رابع عشر: سماح عمرها (16) سنة، التقيتها في إحدى مدارس جنين، قُدِّر لها أن تكون ابنة أسير محكوم لعشرات المؤبدات، لها (3) إخوة و(3) أخوات يقيمون في منزلهم الجديد الذي تم بناؤه بعد أن هُدِم منزلهم السابق على يد الاحتلال.

خامس عشر: محمود وهو أخ لسماح عمره (12) سنة، تمت مقابلته في المنزل.

سادس عشر: عثمان التقيته في إحدى قرى نابلس، عندما ذهبت إلى مدرسته، وهو طفل عمره (13) سنة، وهو وحيد لأمه حيث اعتقل الاحتلال أباه منذ سنوات وحكم (10) مؤبدات و(30) سنة.

سابع عشر: رامي طالب في الصف التاسع وعمره (14) سنة، اعتقل أبوه قبل (12) سنة وحكم بالمؤبد. أثناء هذه الفترة غادرت أمه المنزل بعد أن تطلقت من الأب، يعيش رامي مع جديه وعمته وأخته التي تكبره بسنة في إحدى قرى طوباس.

ثامن عشر: صابرين عمرها (13) سنة، تعيش مع أمها وأختيها في منطقة طوباس، فأبوها أحد الأسرى ذوي الأحكام المؤبدة، وكان قد اعتقل في عام 2002 ولم يكن عمرها يتجاوز ثلاثة شهور.

تاسع عشر: رندا في الصف الحادي عشر وهي أخت صابرين.(*)

إجراءات الدراسة

خلال فترة (8) أشهر (بداية أيار عام 2015 حتى نهاية كانون الأول عام 2015) تم جمع المعلومات من المبحوثين، وقد سبق عملية جمع المعلومات مرحلة الإعداد والتنسيق مع وزارة التربية والتعليم وهيئة الأسرى والمحررين وعائلات الأطفال المبحوثين. ففي البداية تم التوجه إلى المكتب الرئيسي لهيئة الأسرى والمحررين في رام الله من خلال كتاب خطي من الجامعة يوضح طبيعة الدراسة وأهدافها، وهذا ساعد في الحصول على بيانات شاملة عن أعداد الأسرى المؤبدين وأسمائهم وتوزيعهم الجغرافي على المدن الفلسطينية. وبناءً على ذلك اتجهت إلى ثلاث مديريات تابعة لهيئة الأسرى والمحررين في نابلس وجنين وطوباس (مناطق الدراسة)، وتمكنت من الحصول من خلال هذه المديريات على قوائم بالأسرى المؤبدين المتزوجين والذين لديهم أطفال، فضلاً عن أرقام هواتف أسرهم.

بعدها تمَّ التوجه إلى وزارة التربية والتعليم العالي من خلال كتاب من الجامعة لتسهيل مهمة الباحث بالدخول إلى المدارس والالتقاء بالأطفال أبناء الأسرى ذوي الأحكام

(*) ملاحظة: تم حذف بعض المعلومات التي تتعلق بصفات المبحوثين وظروفهم والتي قد تساعد في التعرف عليهم، وذلك للمحافظة على خصوصية المبحوثين.

المؤبدة في المناطق المذكورة، وتم الحصول منها على كتاب تسهيل مهمة، موجه إلى أربع مديريات، وهي: مديرية تربية نابلس، مديرية تربية جنوب نابلس، مديرية تربية جنين، مديرية تربية طوباس. وقد قامت كل مديرية بالتعميم على المدارس التابعة لها بموضوع الدراسة واسم الباحث والموافقة على مقابلة الطلبة المبحوثين.

وقبل الذهاب إلى المدارس والالتقاء بالأطفال المبحوثين، تمَّ الاتصال مع أسرهم وأخذ الموافقة شفوياً على مشاركة أبنائهم في الدراسة بعد التعريف باسم الباحث وجامعته وأهداف دراسته. وأثناء الاتصال تمكن الباحث من معرفة أسماء مدارس هؤلاء الأطفال وصفوفهم، إضافةً إلى عنوان المدرسة التي يدرس فيها الطفل، وهذا سهل عملية الوصول للمبحوثين.

بعد هذه الإجراءات الطويلة والشاقة، قام الباحث بالتوجه إلى (15) مدرسة، وإجراء مقابلات معمقة مع (16) طفلاً، وتم زيارة (3) طلبة في بيوتهم بناءً على طلب أسرهم. مع الإشارة إلى أنه تم تسجيل المقابلات صوتياً، وفي بعض الأحيان كتابياً عندما رفض المبحوثون التسجيل.

أداة الدراسة (المقابلات)

استُخدمت المقابلة الفردية المعمقة وجهاً لوجه مع أبناء الأسرى المؤبدين، من خلال الأسئلة المفتوحة التي قام الباحث بإعدادها مسبقاً، وفي سياق الحديث استخدم الباحث أسئلة أخرى تم استنباطها من إجابات الأطفال أثناء المقابلات.

وقد أتاحت المقابلات للباحث فرصة ملاحظة العديد من الجوانب الشخصية للمبحوثين، من خلال مشاركتهم والتواصل البصري ولغة الجسد والوقوف على مشاعرهم. حيث أن المقابلة تقدم معلومات ثرية لا يستطيع الباحث الحصول عليها بوسائل أخرى، إذ تقدم معلومات شخصية مفصلة (زيتون، 2006).

وتكونت أسئلة الدراسة من (13) سؤالاً رئيساً تخللتها أسئلة تفصيلية أثناء المقابلة.

تحليل البيانات

لقد جرت عملية تحليل البيانات التي تم جمعها استناداً إلى قواعد النظرية المجذرة وخطواتها (Grounded Theory) في البحث الكيفي، حيث تم تشكيل تصنيفات أولية من خلال الوقوف على النقاط المشتركة التي تم الحصول عليها من المبحوثين، ثم القيام بدمج المواضيع ذات المعنى النظري المشترك كخطوة في عملية التحليل الكيفي للبيانات (مكاوي، 2002). ومن خلال البيانات التي تم جمعها من المبحوثين، توصل الباحث إلى محاور (Themes) أو مفاهيم نظرية.

بدايةً قام الباحث بتسجيل المقابلات صوتياً باستثناء مقابلتين تم تسجيلهما كتابياً بناء على رغبة المبحوثين، وكانت مدة المقابلة ساعة ونصف الساعة لكل مشارك، حيث تمَّ التعمق خلالها في تجربته باستخدام الأسئلة المفتوحة (انظر الملحق رقم 1). وبالنسبة للمقابلات تمَّ تفريغها من خلال كتابة كل المعلومات التي ذكرت في التسجيل الصوتي، وبلغة المبحوثين أنفسهم كما ذكروها في التسجيل الصوتي.

ثم قام الباحث بتحليل كل مقابلة على حدة، والوقوف على القضايا المتكررة في تجربة كل مشارك. وقد تمت عملية التحليل من خلال ثلاثة مستويات طرحتها النظرية المجذرة، وهي:

الأول: الترميز المفتوح، بعد تفريغ البيانات التي تم جمعها من المبحوثين، ثم قراءة البيانات بتركيز من قبل الباحث للوقوف على مدى التشابه والاختلاف فيما طرحه المبحوثين، تمت عملية تصنيف البيانات بشكل أولي من خلال وضعها في مسميات ومفاهيم تعبر عن كلام المبحوثين.

ثانياً: الترميز المحوري، في هذا المحور تمت مقارنة نقاط التقاء البيانات المجمعة وإعادة تنظيم للمحاور، حيث تمَّ دمج المحاور المتشابهة وتصنيفها.

ثالثاً: الترميز الانتقائي، في هذه المرحلة تمَّ الاستمرار في عملية دمج ما قام به الباحث من تحليل وصياغة، ثم ربطه بالجانب النظري وإدخال معنى نظري يستند على التحليل العميق، والاستمرار في وضع العبارات المتشابهة من المبحوثين تحت المحاور الرئيسة، وكذلك تم وضع العبارات المختلفة تحت المحاور التي تعكس الاختلاف (ستراوس وكوربين، 1999).

وبناء على الخطوات التي اتبعها الباحث في الانطلاق من الواقع إلى النظرية استناداً إلى مبدأ النظرية المجذرة، تم التوصل إلى ثلاثة محاور رئيسة على النحو التالي:

المحور الأول: مفهوم الهوية الوطنية لدى الأطفال أبناء الأسرى.

المحور الثاني: تأثير الحياة اليومية لأبناء الأسرى على تشكيل هويتهم الوطنية.

المحور الثالث: الحالة النفسية لأبناء الأسرى المؤبدين.

وقد قام الباحث بعرض هذه المحاور في الفصل الرابع وتحليلها، والاستناد إلى أقوال المبحوثين وتفسيرها وربطها بالجانب النظري والدراسات، وتحليلها للوصول إلى فهم أعمق وأشمل من خلال صياغة عدد من الاستنتاجات التي بنيت على هذه النتائج.

الفصل الرابع

نتائج الدراسة

المحور الأول: مفهوم الهوية الوطنية لدى الأطفال أبناء الأسرى

أظهرت هذه الدراسة أن غالبية أبناء الأسرى ذوي الأحكام المؤبدة لديهم شعور بالفخر لانتمائهم الوطني، وهذا الشعور قادهم إلى الاعتزاز بآبائهم كرموز للنضال والمقاومة ضد الاحتلال.

فتقول ربى: *"يعني أنا عادي مفتخرة. يعني بتسألني ليش عمل أبوكي هيك وهيك، بحكيلهم أنا مفتخرة بأبوي لأنو بطل".*

ويتشابه ذلك مع ما تقوله أيضا رندا: *"بفتخر بهذا الشي، إني فخورة إنو أبوي وصل لهذا الإشي بفعل وطني. وأنا بتمنى لو أني محله".*

وهناك من المبحوثين من قاده الاعتزاز بالانتماء الوطني إلى أبعد من مجرد الإحساس بالفخر بالأب وعمله النضالي، إلى التضامن مع عائلات الشهداء والمشاركة في المسيرات والفعاليات الوطنية، وإظهار الاستعداد للاعتقال دفاعاً عن القضية الفلسطينية.

فيقول جلال *"بفتخر إني فلسطيني وبتهمّني القضية، وبحب أكون مثل أبوي مناضل وبحب أنتقم عشان الشهداء. كل ما بسمع واحد- كيف بدي أقلك- بروح عندهم بعيط. وإذا قالك واحد استشهد شهيد بروح أنا وصحابي بنعمل مسيرة، ولما عشان يوم أبو عمار بجمع الأولاد وبعمل مسيرة".*

ولا يمكننا إغفال دور الأسير نفسه –رغم غيابه– في تعزيز الانتماء الوطني لدى أبنائه كونه شخصاً مناضلاً ومضحياً من أجل قضية شعبه الوطنية، كما أن حياته في الأسر يسودها الجو النضالي، حيث يعيش الأسرى وعلى وجه التحديد ذوو الأحكام المرتفعة والمؤبدة في "مجتمع اعتقالي" مبني على جملة من القيم الوطنية والدينية.

لذا يحاول هذا الأسير ومن داخل "بطن الوحش" (من السجن)، أن يصقل شخصية أبنائه وطنياً ودينياً، حين يلتقيهم أثناء الزيارات، أو من خلال الرسائل التي يبعثها لهم من السجن، وعادة ما يغلب على هذه الرسائل طابع الوصايا الحاثة على حب الوطن والاهتمام بالتعليم والتمسك بالدين. وعلاوة على ذلك فإن الأسير يحاول أن يمارس دوره الأبوي المفقود من خلال زرع هذه القيم في أبنائه.

وفي هذا السياق تقول سماح: *"العام الماضي حكيت لأبوي ودَّالي* [بعث لي] *رسالة قرأتها في الإذاعة المدرسية"*، وتضيف *"في المناسبات بنشارك في مسرحيات بنعمل مسرحيات أنا وصاحباتي وهو*[أبوها] *دائماً بشجعني وبحكيلي دايماً يا بابا اطلعي في الإذاعة، إعملي دايماً بحكيلي"*.

ومن المثير للاستغراب أن نتائج الدراسة أظهرت أن هذا الفخر والاعتزاز الوطني الموجود لدى أبناء الأسرى ذوي الأحكام المؤبدة، لم يرتقِ إلى مستوى الوصول إلى هوية وطنية عميقة وقوية، تكون كعامل جَلَد لديهم. فهؤلاء الأطفال رغم اعتزازهم الوطني ومشاركة بعضهم في المناسبات الوطنية، إلا أنه تظهر لديهم مشاعر النقمة على المجتمع الذي لم

يتعاطف معهم وتركهم "ضحايا منسيين" –كما يرون–، الأمر الذي ربما أوصلهم إلى حالة إحباط، واشمئزاز من المجتمع في بعض الأحيان. وبالتالي فإن مفهوم أبناء الأسرى لهويتهم الجماعية الوطنية ينتابه التشويه والصراع ما بين الفخر والانتماء الوطني، والنقمة وكره المجتمع في بعض الأحيان. وهذا يظهر في أحاديث عدد من الأطفال المبحوثين، حيث يقول سعد: *"واحد بسألني شو عمل أبوك، بحكي إنو دافع عن فلسطين وهيك أشياء، يعني يمكن اطلع زيه كمان"*. ومن اللافت للنظر أن المبحوث نفسه يقول: *"غلط إلي عمله* [يقصد أباه] *كان عنده مرة* [زوجة] *وكان عنده أولاد اتطارد، صعب برضه. قبل ما يعمل هيك لازم فكر بمرته وأولاده أول إشي. كان بيقدر يوخذ قرار صح أفضل، مش بعد ما يتزوج ويصير عنده أولاد"*.

ويتشابه ذلك مع ما يشير إليه حمد بقوله *"أبوي بعتبره مصدر فخر"*، ويتفق هذا المبحوث مع المبحوث السابق في لوم الأب على التضحية فيقول: *"بلومه* [يقصد أباه] *بقول الو: ليه روحت ضحيت بعقلي، بقول الو: لو مطرحك مضحيتش. أنا كنت أراجد* [أرمي حجارة على الجيش] *قعدت اطلع ع الناس بطل في إكثير، قلت: لا ليه ما إليش بهدواوين. فبالتالي صفيت على جنب....الناس ما بستاهلش"*. ويضيف المبحوث: *"أمي بتلومه، بتقول الو: على الفاضي حبست حالك، هيه الف واحد بنحبس الناس بستاهلش"*. ويضيف: *"يعني في ناس هذيك المرة صارت مواجهة بالبلد، انطخ واحد بدمدم* [رصاص متفجر] *بجره اثنين راحوا معاه على الجمعية ومحداش طل عليه ثاني يوم"*. ويذكر المبحوث قصة أخرى لزميل له اعتقل، فيقول: *"في واحد في الصف عنا انحبس (4) شهور، وعادي طلع فش ناس إكثير*

استقبلوه، وفي واحد ثاني انحبس (3) أيام ومحدش طل عليه. بس قليل تا يجو عنده، وبالتالي بطلوا يتدخلوا في الوطن. يعني قليل تا يروحو يتدخلوا، كل ما الو الشعب برجع".

ولا تختلف المبحوثة سلوى عن المبحوثين السابقين فتقول: *"بفتخر في إللي عمله أبوي، يعني مش هو نقص اشوي عشان أبوي مش موجود، بس بتعامل عادي مع الوضع، وبشارك في المناسبات الوطنية".* وتقول أيضاً: *" آه حالياً بلومه لإنو ضحى بفترة إكبيرة من عمره، إحنا مش عايشينها عشان وطنه. بتمنى أصلا لو مطلعش بالمرة* [تقصد لو أنه لم يشارك في العمل الوطني]، *في أوقات معينة يعني لما ايصير إشي منحتاجه، أكثر إشي بصير أقول: ليه عمل وعمل هيك. بشوف أولاد أعمامي* جنبنا [بجوارنا] *مع أهلهم، بقول: يا ريت معملش كان هسا معنا".*

إن ما يذكره هؤلاء المبحوثون يوضح ضعف التضامن الشعبي والمجتمعي مع الأسرى والشهداء وعائلاتهم، وهذا ربما يُولِّد لديهم إحباطاً ونقمة على مجتمعهم.

فالدعم الاجتماعي يعتبر ركيزة أساسية في بناء العلاقات بين الأفراد ويساهم في تقوية المجتمع وتطويره في مناح عديدة، حيث يخفف الآثار السلبية للأحداث والظواهر، الأمر الذي يؤدي لحدوث التطور على مستوى العلاقات من خلال دعم الأفراد لبعضهم (أبو صبح، 2011).

إن تفكك اللحمة الشعبية أثناء النضال وما يرافقها من تصدع في منظومة القيم المبنية على التضامن والتكافل والمشاركة، ربما تؤدي إلى إحباطات ونتائج سلبية، قد تساهم

في ضعف تفعيل الهوية الوطنية وخاصة لدى الأفراد الأكثر تضرراً من الاحتلال، كالأسرى والجرحى وعائلاتهم، عندما يجدون أنفسهم "كضحايا منسيين"، وهذا ما سبق أن أشار إليه المبحوثون أثناء المقابلات.

ومن وجهة نظر الباحث، فأن صعود النزعة الفردية وتغليبها على المصلحة العامة في مجتمع هو بالأصل جماعي يقوم على المشاركة والتضامن، يؤدي هذا إلى إضعاف الشعور بالآخرين، ومن ثم هبوط الانتماء الوطني الذي يعتبر أساس الهوية الجماعية الوطنية.

ويرى (Jan & Peter, 2000) أن شعور الفرد بأن له أهمية لا ينتج فقط من شعوره بالانتماء لجماعته، بل بقبول الجماعة له كعضو، فالهوية الجماعية المفعَّلة هي الهوية التي تعمل نفسيا على زيادة تأثير عضوية الفرد في جماعته على تصوراته وسلوكه، لذا فإن تفعيل الهوية يتعلق بعاملين:

الأول: السياق، إن كان يعاني من حالة يفترض أن تكون الهوية مفعلة بشكل عام.

الثاني: عوامل متعلقة بالفرد ذاته، حيث يؤثر موقع الشخص الاجتماعي في تفعيل هويته سلباً أو إيجاباً. ولعل هذا يتفق مع ما نجده في السياق الفلسطيني الذي يعاني حالياً من تراجع في الهوية الوطنية كما تشير الدراسات، فعندما نلقي الضوء على المراحل التاريخية التي مرت بها القضية الفلسطينية عبر سنوات الاحتلال، نجد أنه كان لهذه المراحل دور في تفعيل أو انعدام تفعيل الهوية الوطنية لدى الفلسطينيين. وخير شاهد على ذلك مرحلة

الانتفاضة الأولى والتي استمرت من عام 1987 ولغاية عام 1992، والتي كانت الهوية الوطنية خلالها مفعلة في مناخ تسود فيه روح التضامن بين أبناء المجتمع الفلسطيني، حيث كان هناك اهتمام بأسر الشهداء والأسرى وأطفالهم، وكان هناك تعظيم لهم ولدورهم في النضال، وهذا ما أشارت إليه دراسة ميعاري (1994). وربما ساهم ذلك في تقوية عنصر الجَلَد لدى أبناء المجتمع الفلسطيني، وحصَّنهم نفسياً في تلك الفترة، وهذا أيضاً ما أشارت إليه العديد من الدراسات.

لكن بحلول أوسلو عام 1993 وتراجع دور التنظيمات الفلسطينية تم إهمال الكثير من القضايا، ومنها قضية الأسرى التي أُركنت جانباً، فعلى مدار سنوات من المفاوضات لم يذكر الأسرى في أية اتفاقية وقعت، وهذا ما يشير إليه الأسير مروان البرغوثي في كتابه "مقاومة الاعتقال"، حيث يقول: *"بعد توقيع اتفاق أوسلو عام 1993 ظن الكثيرون أن الأسرى سيتم الإفراج عنهم في إطار عملية التفاوض وكانت الصدمة لدى الأسرى وذويهم، ولدى أوساط فلسطينية واسعة، ذلك عندما اكتشفوا أن اتفاق أوسلو لم يأت ولو بكلمة واحدة على ذكر الأسرى أو حول مصيرهم الذي تركته الاتفاقيات بين الطرفين رهينة لما يسمى سياسة حسن النوايا الإسرائيلية"* (البرغوثي، 2010).

ويظهر من ذلك أن قضية الأسرى وخاصة ذوي الأحكام المرتفعة تم تهميشها على المستوى السياسي، واعتبر المفاوض الفلسطيني أن الإفراج عن الأسرى سيكون "تحصيل حاصل" عندما يتم حل القضايا العالقة بين الطرفين. لكن إسرائيل لم تظهر إلا سوء النوايا، وإن عمليات الإفراج التي كانت تتم أثناء المفاوضات لم تطل ذوي الأحكام المرتفعة والمؤبدة،

والذين اتهموا بقتل إسرائيليين أو إصابتهم، وأطلقت عليهم إسرائيل "الأسرى الملطخة أيديهم بالدماء".

وقد اتضح أن جميع الأطفال الذين تمت مقابلتهم يدركون بأن الحكم المؤبد لآبائهم يعني بأنهم سيبقون رهن الاعتقال لمدى الحياة، ما لم تحدث صفقات تبادل بين المقاومة الفلسطينية وحكومة الاحتلال، فيقول جلال في هذا السياق: "*مؤبد: أنو مؤبد خلص مش رح يطلع نهائياً إلا غير في الإفراجات*".

أما ربى فتقول: *إنو مؤبد يعني بدو يظل هناك* [تقصد السجن] *بس شو ما صار عنا أمل بانينه على إنو الله معانا، والله بنساش حدا، وباب السجن بسكرش على حد، وأبوي هو دايماً بعطينا أمل*".

ولا يختلف هذا عمَّا تشير إليه سماح بقولها: "*مؤبد أنو! خلص يظل إيعيد عنا. لا أنا دايماً بحكي إنو رح يطلع إن شاء الله، خلص بظل الواحد في أمل بصير الأمل إن شاء الله إنو يطلع. خلص بظل أنا متأمل إنو رح يطلع ورح إنعيش مع بعض*".

يظهر من حديث المبحوثين أن الأمل بالإفراج عن الأب المحكوم بالمؤبد مبني على القدرة الإلهية بالدرجة الأولى، وأن إيمانهم بصفقات التبادل بين المقاومة والاحتلال أكبر بكثير من المفاوضات التي لن تعيد لهم آباءَهم كما يرون.

وهذا ما يقوله أحد أبناء الأسرى: "*باني أملي أنو يروح أبوي على صفقة تبادل مش على مفاوضات سلام*".

إن قصور المستوى السياسي في التعاطي مع قضية الأسرى وحلها عن طريق المفاوضات ترافق معه إهمال المجتمع أيضاً لهذه القضية، وهذا ما أشارت إليه الإعلامية منال سيف(*)، والتي عملت مع عائلات الأسرى لسنوات من خلال برنامج "لأجلكم"، فتقول: *"إن هناك إهمالاً لقضية الأسرى وتهميشاً لأسرهم ليس على المستوى السياسي فقط، وإنما أيضا على المستوى الاجتماعي"*.

وهذا يتفق مع ما ذكره مركز أحرار لدراسات الأسرى في تقرير له جاء فيه: *"إن التعامل مع قضية الأسرى، أصبح بطريقة موسمية، وليس ضمن خطة وطنية واستراتيجية ثابتة يشارك فيها الكل الفلسطيني، وبات التعامل الارتجالي هو سيد الموقف، حتى التفاعل الموسمي ليس كما هو مطلوب من حيث الإعداد والمشاركة والحضور"*. كما انتقد مؤسسات المجتمع المدني وغياب دورها في تفعيل هذه القضية من خلال أي برنامج، وعدم اهتمام هذه المؤسسات بقضية الأسرى (مركز أحرار لدراسات الأسرى، 2015).

ويعتقد الباحث أن ما ذكر حول التراخي المجتمعي بحق الأسرى وقضيتهم كان له الأثر السلبي الواضح على هوية أبنائهم الوطنية، لا سيَّما الأبناء في مراحل الطفولة المتقدمة والمراهقة، تلك المراحل التي تتشكل الهوية بها.

(*) أثناء مقابلي الإعلامية منال سيف تحدثت عن التهديدات الإسرائيلية التي وجهت لها شخصياً لإيقاف برنامج لأجلكم، حيث تقول: *"إن المخابرات الإسرائيلية اتصلوا معي وهددوني شخصياً لإيقاف برنامج لأجلكم*، كما أشارت: بأن التهديدات الإسرائيلية كان لها دورها في التضييق على الأسرى وإهمال أسرهم على المستوى السياسي الفلسطيني، حيث لم تقف هذه الإجراءات عند وقف برنامج لأجلكم وإقصاء منال سيف، وإنما تجاوز ذلك إلى قرار سياسي بتحويل وزارة شؤون الأسرى إلى هيئة. فضلا عن قطع لرواتب عدد من الأسرى حسب ما ذكرت.

لذا فإن ربط موضوع الهوية الوطنية السلبية لدى أبناء الأسرى في تقاعس المجتمع مع قضية آبائهم ظهر في أقوالهم، فتقول ربى: "*لما انهدت دارنا أكثر من مرة– مرتين حكوا معانا إنهم بدهم يعوضونا وإشي، بس مصرش هذا الإشي، مصرش إشي من هذا الحكي*". وتقول سلوى: " *الناس بتعاطفوا في المناسبات اه يعني مثلاً يوم الأسير بتلاقيهم بنسوا الأسير طول الأيام وبيجوش يعملوا مظاهرات وكذا واعتصامات إلا بيوم الأسير*". وتضيف: "*بشكل عام في تقصير بحق الأسرى وأكيد النسيان أصلاً بحد ذاته بأثّر. الناس بنسوا أشخاص ناضلوا عشان مين ناضلوا. عشانه*[تقصد الوطن]". ويقول سعد في هذا السياق: " *أول ما انحبس أبوي فش حدا اهتم فينا أو سأل علينا، حتى إحنا مش معروفين أصلاً، اكثير حسّينا فش حدا رح يساعدنا، إحنا الضحية هلأ*[حالياً]، *والناس مش سائلة عنا*". وتعبر سجى عن استيائها من قلة التضامن المجتمعي مع عائلات الأسرى بقولها: " *فلسطين بتستاهل* [تقصد أنها تستحق التضحية]، *بس إللي فيها ما بستاهلوش، لإنهم بعملوش، بظلوا قاعدين، بعملوش إشي للوطن*". وتضيف: "*في ناس بحكوا إنو إللي ما بنحبس ما بكون زلمة، شو هاذ الهبل!! أنا هسا بلوم أبوي لإنو أول إشي مفكرش فينا، محكاش عندي بنتين، عشان هيك أنا ازعلت، طيب ليه هو مفكرش فينا؟!*".

وبحسب نظرية الهوية الاجتماعية فإن هناك فرضية تسمى "فرضية الهوية السلبية"، وهي تعني: أن الإنسان يمتلك هوية سلبية بعد أن تخيب آماله وتطلعاته، وبالتالي فإن الهوية السلبية تتضمن رفضاً انتقامياً للدور الذي يعتبر مرغوباً ومناسباً للفرد في العائلة والمجتمع.

وهذا ربما يتطابق مع نظرية الإحباط– التي أوجدها Ted Robert عام 1970، والتي تشتمل على الفجوة بين التوقعات المتنامية والحاجة إلى الرضى (أبو إصبع وآخرون، 2005).

ولعل هذا ينطبق على أبناء الأسرى المؤبدين عندما يتوقعون من المجتمع التضامن والتعاطف، لكنهم يحبطون من الواقع حين يجدون أنفسهم "كضحايا منسيين"، ما يترك أثراً سلبياً على هويتهم الوطنية، الأمر الذي قد يؤدي إلى إضعاف عامل الجَلَد وظهور المشكلات النفسية لديهم.

ويضيف الباحث نقطة أخيرة في سياق مفهوم الهوية الوطنية لدى الأطفال أبناء الأسرى، تتعلق بمدى معرفتهم بالتاريخ الوطني، فعند سؤال المبحوثين عمَّا يعرفوه عن تاريخ فلسطين وقضيتها، أشار كثيرون منهم أنهم لا يعرفون عنه إلا معلومات قليلة، وهذا يعكس المستوى المتدني من الوعي الوطني الذي يعيشه الجيل الناشئ، ما يؤثر سلبياً على هويته وانتماءه الوطني، لأن تعزيز الهوية الوطنية لدى الفرد و"التي تشكل جوهر وجوده وشخصيته المميزة"، لا يمكنه الوصول إليه دون معرفة تاريخ وطنه وثقافته.

لذا، فإن من الضروري الالتفات لهذا الجانب على مستوى كافة مؤسسات المجتمع، ووضع الخطط والاستراتيجيات للنهوض بالهوية الوطنية.

المحور الثاني: تأثير الحياة اليومية الأسرية لأبناء الأسرى على تشكيل هويتهم الجماعية الوطنية

تعتبر البيئة الاجتماعية لا سيَّما العائلة التي ينتمي إليها الطفل أحد محددات تشكيل الهوية لديه (الخالدي، 2010)، سواء على مستوى الهوية الفردية (القيم والصفات الشخصية)، أو على مستوى الهوية الجماعية الوطنية (الشعور بالانتماء ووحدة المصير الذي يربط الفرد ببقية المجموعة).

لذا فإن تشكيل هوية الأطفال والمراهقين يتطلب ترابطاً عائلياً وثيقاً لتأمين انتقال المراهق انتقالاً سلساً إلى مرحلة الاستقلالية والاعتماد على النفس (الخالدي، 2010).

وعند النظر إلى أبناء الأسرى الفلسطينيين فإننا نجد بأن الغالب منهم يعانون ليس فقط من حرمان الأب، وإنما أيضا من مشكلات اجتماعية عدة ترتبت على هذا الغياب القسري للأب.

وقد أظهرت البيانات التي تم جمعها من المبحوثين أن من هؤلاء الأطفال مَنْ يعيشون في أجواء أسرية ينتابها التشويش وفقدان الاستقرار، ويعانون من حالة من التفكك الأسري.

حيث وجد الباحث أن ثلاثة من المشاركين حرموا أيضاً من الأم التي انفصلت عن زوجها الأسير، فأصبح الأطفال يعيشون حرماناً مزدوجاً من كلا الوالدين. ومن خلال

المقابلات المعمقة تم الكشف عن حجم معاناتهم، ولعل أحاديثهم تظهر ذلك، فتقول إسراء: "*حياتي حلوة لو عشت مع ماما وهسا حياتي مش حلوة، بتمنى أنام جنب ماما، بس راحت ماما حاس حياتي ادمرت وبطل عندي أمل*"، وتضيف أختها سجى: " *اشتقت لماما إكثير، كل دقيقة ولحظة بفكر فيها. بفكر شو بتعمل هلأ*[هسا]، *رحت عندها خميس وجمعة وسبت، وما بحبش أروّح* [أرجع] *عند دار سيدي، بستنا أعيش مع ماما، تيته*[جدتي] *صرت أكرهها، وأنا بكرهها من زمان لأنها منعتنا نحكي مع ماما لإنو بابا حكالها ما نحكيش مع ماما*".

ورغم أنه لا يمكن اعتبار انفصال الزوجة عن زوجها الأسير ظاهرة، إلا أنها حالات موجودة في المجتمع. إذ يجيز قانون الأحوال الشخصية المعمول به في فلسطين، والمأخوذ عن القانون الأردني "للزوجة طلب التفريق لأجل حبس الزوج"، حيث جاز لزوجة المحبوس المحكوم عليه نهائياً بعقوبة مقيدة للحرية مدة (3 سنوات) فأكثر أن تطلب إلى القاضي بعد مضي سنة من تاريخ حبسه وتقييد حريته التطليق، ولو كان له مال يستطيع الإنفاق منه" (عقلة، 1990).

ويعتقد الباحث أن انفصال الزوجة سواء جاء من خلال الاتفاق بين الزوجين أو لجوء الزوجة إلى القانون، فإن الأطفال هم الضحية الأولى، لمثل قرار كهذا ربما يقوّض ما تبقى من البناء الأسري، في ظل غياب الأب في الاعتقال.

إن للأسرة –كما ذكرنا– وظائف نفسية وعاطفية، حيث توفر لأبنائها مظاهر الحب والعطف والاهتمام والرعاية والحماية ما يساعد على نضجهم النفسي (ال عبد الله، 2012)،

فالأب والأم لهما دور خاص في تنشئة الطفل، ويكون لغياب أحدهما أثر كبير على نفسية الأطفال وسلوكياتهم، ويتفاقم هذا الأثر إذا كان الغياب لكلا الوالدين.

وفي السياق نفسه أظهرت المقابلات المعمقة أن هناك عوامل أخرى كان لها الأثر الكبير في تعكير الحياة الأسرية للمبحوثين –حتى وفي حال بقاء الأم مع أطفالها–، أهمها: الخلافات التي قد تحدث بين الزوجة وعائلة الزوج المعتقل، والتي بلا شك تترك آثاراً سلبية على الأطفال، لا سيِّما إن كان الأطفال يعيشون في أسر ممتدة(*). يقول جلال: "*إحنا إلنا مشاكل مع دار سيدي* [أهل الأب] *ما في إلا إخوالي مناح معنا*". وتضيف أخته سناء: "*أهل أبوي ما بسألوا عنا ولا بحبونا أصلاً حتى هذيك المرة أجا أخوي سعد ومد إيده إيسلم على سيدو* [جدي] *وما مد إيده ودفشه، أصلاً إحنا ما بنحبهم* [تقصد عائلة أبيها]، *ما بنحب غير إخوالو*".

ما سبق ذكره يتفق مع ما أشارت إليه دراسة قعدان (2002) التي أظهرت نتائجها أن كثرة التدخلات من قبل أهل الزوج المعتقل في شؤون أسرته، يؤدي إلى الاصطدام مع الزوجة التي ترفض هذا التدخل، ما يسبب مشكلات اجتماعية. ودراسة ذوقان (2010) التي توصلت إلى وجود مشكلات اجتماعية لدى زوجات الأسرى، تمثلت في "أن زوجة الأسير تشعر بحساسية مفرطة للكلمات التي تسمعها من أهل زوجها، يلي ذلك رفض أهل الزوج

(*) تنقسم الأسرة في مجتمعنا الفلسطيني إلى نوعين: الأسرة النووية والمكونة من الآب والأم والأبناء، والأسرة الممتدة: حيث يعرفها (بركات 1986) المشار إليه في(سرحان،2005) "بانها عائلة مؤلفة من ثلاثة أجيال تعيش تحت سقف واحد". ويقصد هنا الأب والأم والأطفال والجدين والأعمام والعمات في بعض الأحيان.

عمل الزوجة خارج البيت، وقلة مساعدة أهل زوجها لأسرتها مع طول فترة أسر زوجها، وفي حين أن أهل الزوجة وأقاربها يقدمون لها ما تحتاجه من مساعدات بعد اعتقال زوجها".

وفي حالة رندا أيضاً تظهر حجم المعاناة الناتجة عن تفاقم النزاعات بين الأم وعائلة الأب الأسير، فتقول: "*أمي اكثير مفتقديته لأبوي، وشعورها إنو إمي كانت حياتها أحسن قبل ما ينحبس أبوي، وهلأ* [حالياً] *في مشاكل بينها وبين عيلة أبوي، حتى في مشاكل إكثير إكثير بينا وبين عيلة أبوي، يعني في أول إشي امي كان أنا صف رابع كنت وأختي صابرين كانت أول، فصارت مشاكل بين أمي وعمي.. فراحت عند دار سيدي* [أهلها] *قعدت عندهم (4) سنين، بس كنا نروح عليها، يعني أنا صرت في السابع وبدي أفوت في الثامن وأختي صابرين كانت رابع يوميتها، بعدين رجعت علينا أمي، بس نفس الشيء بعد ما رجعت ردت صارت* [تكررت] *مشاكل، في يوم صار زراعة لنسوان الأسرى(*) فإمي إنو حكالها أبوي إنو عشان إحنا (3) خوات فش أخو إلنا* [تقصد لا يوجد لهن أخ ذكر] *فبدو إلنا أخو* [يريد أن يكون لنا أخ]، *فأهل أبوي اعترضوا، فصارت مشاكل بينا وبين عمي إللي صارت معو المشاكل قبل ما رجعت أمي، وبكى* [كان] *عمي يتدخل فينا إكثير، وأنا كان إكثير يضربني، آخر اشي اشتكيت عليه للشرطة وحبسته".*

في الخلاصة، تبين روايات المبحوثين أنه إذا كان الطفل يعيش مع مجموعة من البالغين في ظل غياب الأب، فإن ذلك قد يشكل ضغطاً نفسياً عليه، بسبب كثرة التدخلات

(*) زراعة الأجنة لزوجات الأسرى: وهي طريقة برزت في أوساط زوجات الأسرى الذين أمضوا فترات طويلة، ومن ذوي الأحكام العالية، ويتم ذلك من خلال تهريب النطف من السجن، وحدثت أول ولادة لطفل بهذه التجربة في 13-8-2012 (حمدونة، 2016).

بأمور تتعلق بحياته، فضلاً عن محاولة أكثر من شخص في العائلة القيام بدور الأب ومحاولة السيطرة على الطفل، وما "يزيد الطين بلة" هو الاصطدام الذي قد يحدث بين أفراد الأسرة الممتدة والأم حول تربية الأطفال. وهذا يتفق مع ما توصل إليه Shehadeh & others (2015) حيث وجدوا أن المراهقين ذوي الآباء المعتقلين الذين يعيشون في عائلات ممتدة عانوا من أعراض ما "بعد الصدمة" بأربعة أضعاف، وإحدى الفرضيات هنا أنه في العائلات الممتدة يؤدي غياب الأب إلى تدخل أكثر من أعضاء العائلة المختلفين في الحياة الخاصة للمراهق. علاوة على ذلك، فإن وجود بالغين عدة، بآراء مختلفة، يمكن أن يؤدي إلى ضغوط نفسية أكثر، ونقص الخصوصية والمساحة للاختيار الشخصي في العائلات الممتدة.

وأخيرا تطرق المبحوثون إلى زياراتهم لآبائهم في السجون، وتحدث الأطفال عن حجم المعاناة التي تعيشها عائلات المعتقلين، نتيجة إجراءات الاحتلال المتمثلة بتدقيق الأوراق والتفتيش والانتظار لساعات طويلة أمام السجن أحيانا قبل الدخول أو على الحواجز العسكرية. يقول حمد: " *آخر مرة زرت أبوي قبل شهرين، لإنو هسا خلص التصريح*"، ويصف طبيعة الزيارة وتفاصيلها، فيقول: " *فيها عجكة* [ضجة]، *وفيها اصياح، وعلى كل شي مشددين غاد* [هناك]، *ولما بنفوت بشددوا علينا، كل شي بشلحونا، الكشاط والبلاطين، أوقات إذا بشكوا بالبنطلون بفوتوك على غرفه بتشلحه، وهناك في تفتيش خاص للنسوان*".

وعلاوة على هذه الإجراءات المرهقة والمهينة، فإن هناك العديد من العائلات التي تحرم زيارة أبنائها لشهور طويلة تحت ذرائع أمنية، يقول سعد في هذا السياق: *"أبوي الآن في سجن جلبوع، آخر مرة زرته قبل سنة، السنة* [يقصد هذا العام] *ولا مرة زرته، مرفوض أمني*".

إن معاناة هؤلاء الأطفال المبحوثين وعائلاتهم، تعتبر جزءاً من معاناة تعيشها آلاف الأسر الفلسطينية التي لديها أبناء في سجون الاحتلال، وهذا ما عرضه أحد تقارير مؤسسة الضمير لرعاية وحقوق الأنسان، الذي ذكر أن زيارة الأهالي للأسير تحتاج إلى تصريح من سلطات الاحتلال، حيث يتم تقديم الطلب عبر اللجنة الدولية للصليب الأحمر، وقد يستغرق إصداره فترة طويلة تمتد لثلاثة أشهر، وهذه الزيارات محصورة لأقارب الأسير من الدرجة الأولى، مثل: الأطفال، والأزواج، والوالدين، والأخوة، والأجداد فقط.

كما أن الرجال ما بين السادسة عشر والخامسة والثلاثون يُمنعون من الزيارة، وفي حالات نادرة يحصلون على تصريح زيارة ولمرة واحدة فقط في السنة لمن لديه أخ، ومرتين في السنة لمن لديه أب أسير.

وهناك المئات من العائلات الفلسطينية التي لا يستطيع أفرادها الحصول على تصاريح بحجة "الأسباب الأمنية"، دون توضيح سبب الرفض.

أما عندما يتم السماح بالزيارات العائلية فإنها تتم مرة كل أسبوعين، وتستمر لخمسة وأربعون دقيقة فقط، وفي داخل غرفة الزيارات يوجد لوح زجاجي يفصل بين الأسير والزائر، حيث يتم التواصل بينهم عبر الهاتف أو من خلال بضعة ثقوب في اللوح الزجاجي، ويسمح بالدخول لثلاثة بالغين وقاصِرَين في نفس الوقت لزيارة الأسير ذاته، وهكذا يتم عزل الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين عن دوائرهم الاجتماعية (مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، 2014).

المحور الثالث: الحالة النفسية لأبناء الأسرى المؤبدين

تتفق الدراسات العالمية على أن غياب الأب يؤثر على الصحة النفسية للأبناء وخاصة إنْ كان الغياب نتيجة لأسباب قسرية كالحروب والهجرات والسجون (علي، 2012).

وقد جاءت هذه الدراسة للوقوف على حالة الهوية الجماعية الوطنية وانعكاسها على الصحة النفسية لدى أبناء الأسرى الفلسطينيين ذوي الأحكام المؤبدة.

وأفضت النتائج إلى أن غالبية الأطفال أبناء الأسرى المؤبدين يعانون سوء في التوافق النفسي والاجتماعي، حيث ترك غياب آبائهم الأثر الأكبر في حياتهم، فيقول سعد في هذا السياق: "*أحياناً بفكر وما بعرف أنام، بفكر لما يطلع أبوي، أنو الهدف يطلع ويسعد أمي كمان ترجع أمي مبسوطة*". ويضيف: "*أحياناً بشوف كوابيس، بشوف أبوي لما انفجر فيه الجب، انقطعت ايده وتشوهت رقبته، كل ما أتذكر هذا الحكي أكيد بعيط* [يبكي]. واشتكى العديد من المبحوثين من تقاعس عائلة الأب الممتدة في تقديم الرعاية الكافية لهم، ما فاقم حالتهم النفسية، واتسعت الفجوة التي تركها غياب الأب في الاعتقال وهذا ما أشارت إليه رندا "*أبوي مش عنا... يعني إحنا معتازينه* [نحتاج إليه] *في حياتنا، بهتم فينا، بحسسنا إنو أبو إلنا... يعني عنا أعمام مش محسسينا أصلاً إنهم أعمام إلنا، ولا محسسينا إنو أبوي في السجن، ومش مهتمين فينا نهائياً.. أهل إمي املاح معنا، بيجو علينا خوالي وخالاتي، بس حتى الأخوال ما بقدروا يعوضوا عن دور الأب والأم*".

لكن على نحو مختلف، فإن بعض المبحوثين أشار إلى ما يناقض هذه النتائج، وأظهر حالة نفسية أفضل، فيقول عثمان: "*بفتخر إنو أبوي ضحى بحاله عشان وطنه، لأنو إللي عمله واجب وطني*"، ويضيف: "*الأسرى دايماً دايماً عندهم أمل اكبير، وأنا باني أملي على إللي أخذوهم كتائب القسام*(*)". وهذا يتفق مع ما يقوله حسن: "*بفتخر بأبوي وسمعته، وبحب أشارك في المناسبات والاحتفالات الوطنية وبيوم الأسير، مرات بحكي قصيدة، وأنا في المدرسة عضو في الكشافة*". وبالحديث حول العلاقة مع العائلة الممتدة، يقول عثمان: "*علاقتنا إكثير إكبيرة بدار سيدي* [عائلة جدي]، *هسا إحنا عايشين بنفس الدار، يعني دايماً بنشوف بعض ونسأل عن بعض، وسيدي بيوخذني معو على المسجد، وكمان علاقتي امنيحة* [جيدة] *بأعمامي وأخوالي كمان*". هذا الكلام لا يختلف عما يشير إليه حسن: "*علاقتنا مع عائلتنا* [يقصد الأعمام والعمات] *اكويسة، وعمي زي أبوي*".

إن الرابط بين حالة عثمان وحالة حسن، هو انتماؤهما لعائلات يغلب عليها طابع التدين، لا سيما وأن أبويهما بالأصل عضوان في حركات إسلامية، وبحسب تقديري، فإن الجَلَد الذي ظهر عند المبحوثين هو ناتج عن تفعيل الهوية الدينية، وهذا يتفق مع ما أشار إليه Ellison (1991) المذكور في (أبو حبيب، 2010) "إن الذين لديهم دافع ديني قوي يكونون أكثر رضا عن الحياة وسعادة، وأقل في النتائج السلبية لأحداث الحياة الضاغطة بالمقارنة مع غير المتدينين".

(*) الجنود الإسرائيليون الذين فقدو أثناء الحرب على غزة عام 2014، وأعلنت المقاومة الفلسطينية بأنهم مأسورين لديها، حيث تحاول إبرام صفقة مع إسرائيل لمبادلتهم بأسرى فلسطينيين (عرب 48، 2017).

علاوة على ذلك، فإن الطفلين المذكورين تلقيا الدعم الاجتماعي المستمر من أسرتيهما الممتدتين، ما أثر إيجابيا في توافقهما النفسي والاجتماعي، وهذا يتقاطع مع ما خلصت إليه دراسة وادي (2004) بأن تقدير المجتمع للأطفال أبناء الأسرى جعلهم يشعرون بالثقة بأنفسهم والرضى عن الذات، ما أوصلهم إلى التوافق النفسي".

إن تردي الحالة النفسية الناتجة عن غياب الأب قد تتطور مع نمو الطفل، ما لم يتلق المساندة الاجتماعية والدعم النفسي، حيث تتجلى الفجوة التي يتركها هذا الحرمان بشكل أوضح مع تطور المرحلة العمرية للطفل. وقد أشارت الدراسات إلى أن فقدان أحد الوالدين في مرحلة الطفولة، قد يرتبط ببعض المشكلات النفسية كالاكتئاب في مراحل لاحقة من حياة الفرد، إذا لم تقدم له المساندة النفسية (Gooyer, 2001، المذكور في زعول، 2007).

وهذا ما أشارت إليه المبحوثة سلوى: *"وأنا صغيرة عادي بس لما كبرت أثر، يعني صار مشكلة وأبوي مش موجود، وإنو هسا بهاي الفترة أكثر إشي الواحد يحتاج أبوه".*

فضلاً على ذلك فإن النتائج تظهر بوضوح بأن الحالة النفسية لدى معظم الأطفال أبناء الأسرى تأخذ منحنى يتراوح بين الصعود والهبوط، تبعاً لما تمر به الأسرة من مواقف يومية وخبرات (سواء خبرات سارة أو محزنة) تكون فيها أكثر حاجة للأب. يقول سعد في هذا السياق: *"أجت مواقف إكثير بتكون محتاجه أبي لإنو كل دار لازم إيكون فيها أبو، إمي بتقدرش برضو لحالها هيك، لما أنا كنت اصغير كان هو بيقدر إيعلمني، كان هو بيقدر إدور لي على شغل، وفي مشاكل كمان أحياناً بتصير في الحياة، مشاكل هو لازم إيكون*

عندي، لما إيكون الأب مش بالبيت صعب لسا إخوتي بتأثروا إكثير بيوم عيد ميلادهم بيكونوا محتاجين أبوي".

يتشابه ذلك مع ما تقوله المبحوثة سماح: " *طبعا اعتقال أبوي إكثير أثر علينا، هو كان عمود الدار. كل شي كنا بدنا إياه كان إيجيب إلنا إياه، بس هَ ساعيات* [حالياً] *بعيد عنا. بتقدرش تحكيله بدنا، لما نبقى بدنا إشي مثل يوم العيد بدنا إنروح نشتري أواعي* [ملابس] *لازم هو يكون معانا لحتى إنروح انقّي* [نختار] *أواعينا وأشياء، بس هو خلص بيجي أخوي الكبير معانا...* وتضيف: "*بس أخوي الكبير ما بسد مطرح* [مكان] *الأب*".

عند عائلات الأسرى تتحول مناسبات الفرح والأعياد إلى مناسبات يفتقد فيها الأطفال آباءَهم المأسورين لدى الاحتلال، وينتابهم الحزن والأسى في هذه الأيام التي كان من المفترض أن تكون أيام فرح.

وقد وجد الباحث أثناء تجربته في الاعتقال، بأن أكثر الأيام قسوة على الأسرى، هي أيام الأعياد، حيث يتذكرون فيها تفاصيل الحياة في خارج السجن، وطقوس العيد مع الأسرة والأقارب، متمنين أن يأتي العيد القادم وهم بين أحبتهم.

ومن المثير للاهتمام أن جميع الأطفال أبناء الأسرى مروا بأزمات نفسية متفاوتة عشية إبرام صفقة "وفاء الأحرار"[*]، حيث تحدث جميع المبحوثين عن تلك اللحظات التي

---

[*] صفقة "وفاء الأحرار": هي اتفاق تم بين حركة حماس وإسرائيل، برعاية مصر، بتاريخ 6 اكتوبر 2011، وتضمنت الإفراج عن الجندي الإسرائيلي الذي تم أسره على يد المقاومة في غزة، مقابل الإفراج عن (1027) أسيراً فلسطينياً (محمود، 2017).

أُبلغوا فيها عن قرب أطلاق سراح آبائهم، ووصفوا مشاعرهم في تلك اللحظات، وذكر الأطفال كيف انقلبت مشاعر الفرح إلى حزن شديد عندما صدموا بعدم شمول آبائهم ضمن الصفقة حين تنفيذها، فيقول سعد: "*هاي الصفقة* [يقصد صفقة وفاء الأحرار] *أجت، كنا متأملين أكثير إنو أبوي يطلع فيها، وهيك، حتى يوم كان قبلها بيوم أمي جابت كنافة، وهيك عشان أبوي بدو يطلع واشي، بس ثاني يوم طلع خبر إنو ما طلعش أبوي، كلنا ادمرت نفسيتنا وهيك، أمي ظلت طول اليوم بلا أكل، ظلت زعلانة، وأخوتي طول اليوم ظلوا ايعيطوا* [يبكون]، *ويسألوا عن أبوي وهيك يعني*".

ولعل حالة ربى كانت أشد قسوة عندما توفيت جدتها حين أخبرت بأن ابنها–أي والد المبحوثة ربى– لم يفرج عنه ضمن صفقة "وفاء الأحرار"، فتقول: "*صارت معانا مرة إنو بكو* [كانوا] *ناشرين اسم أبوي ونفس العيلة، وكل إشي، بكينا* [كنا] *متوقعين إنو هو بدو يطلع، كنا مبسوطين* [فرحين] اكثير، بكيت أنا اصغيرة شوي، *وبكيت كاتبة قصيدة لأبوي، بس طبعا مش متذكرها... بس طلع من بلد ثانية* [تقصد اسم الشخص الذي اعتقدوا بأنه والدهم] *ازعلنا إكثير يوميتها، هذا يعني سبب موت ستي* [جدتي] *الله يرحمها، طلعت المية على الرئتين*".

في الخلاصة، تظهر الروايات الواردة أعلاه مدى المعاناة النفسية الذي ولدته نتائج صفقة التبادل على الأطفال أبناء الأسرى المؤبدين، الذين تم استثناء آبائهم من الإفراج، وتوضح الروايات غياب الدعم النفسي في المدارس في تلك الفترة التي كان من المفترض التعامل معها كأزمة، وهذا ما أشارت اليه المبحوثة رندا: "*هذيك الفترة يوم روحوا الأسرى بالصفقة، كانت أصعب فترة علينا، وما حدا بعرف كديش إحنا اتعبنا، بس اعرفنا إنو أبوي*

مش رح يطلع معهم [تقصد الأسرى الذين حرروا في صفقة التبادل "وفاء الاحرار"]، *حتى بالمدرسة ما حدا سألنا ليش إحنا غبنا هذاك اليوم، بس صاحباتي سألوني شو مالك؟ قلت لهم: ولا إشي".*

حديث المبحوثة هذا يقودنا إلى التطرق لأهمية دور المدرسة في تعزيز الصحة النفسية، وتوفير الدعم النفسي للطلبة خلال الأزمات، انطلاقاً من كون المدرسة هي المؤسسة الرسمية التي تقوم بعملية التربية بمختلف الجوانب الجسمية والمعرفية والاجتماعية، ومن مسؤولياتها فيما يتعلق بالنمو النفسي والصحة النفسية تقديم الرعاية النفسية إلى كل طفل، ومساعدته في حل مشكلاته لتحقيق توافقه النفسي والاجتماعي (دياب، 2006).

حيث نبه علم الصحة النفسية إلى أهميه العوامل النفسية في التحصيل المدرسي، لذا فقد اهتمت التربية الحديثة بالنمو الانفعالي والاجتماعي للطلبة إلى جانب النمو المعرفي (صولي، 2015).

ومن هنا برزت الحاجة إلى التوجيه والإرشاد النفسي والتربوي في المدارس؛ لتوجيه ومساعدة الطلبة في تجاوز وحل المشكلات العديدة التي تواجههم عبر المراحل التعليمية المختلفة (عيد، 2015).

لذا فقد بدأ الاهتمام العالمي في الإرشاد النفسي منذ عدة عقود، حين اعترفت جمعية علم النفس الأمريكية بالإرشاد كميدان تمنح فيه الدبلومات والدرجات العالية. أما عربياً فكانت

مصر أول الدول إبرازاً للإرشاد في المدارس عام 1960، ثم سارت على خطاها دول عربية عديدة.

وفي السياق الفلسطيني بدأ الاهتمام بالإرشاد التربوي في المدارس مع قدوم السلطة الوطنية الفلسطينية، وتأسيس وزارة التربية الفلسطينية عام 1996، وقد تقدم الإرشاد في المدارس الفلسطينية بشكل واضح (السلامة، 2004).

لكن –وبحسب تصور الباحث– فإنه ورغم المراحل المتقدمة التي وصلها الإرشاد التربوي في المدارس الفلسطينية، قياساً بالسنوات السابقة، إلا أنه ما زالت هناك أسباباً عديدة تعيق الإرشاد منها: ضعف الوعي لدى الطلبة وأولياء الأمور والمعلمين بدور وأهمية الإرشاد التربوي، إضافة إلى أن الإرشاد قد يقدم بصورة مجزوءة إذا اهتم المرشد بجوانب معينة على حساب أخرى، كأن يكرس وقته في حصص التوجيه الجمعي وحالات الإرشاد الفردي للعديد من أصحاب المشكلات السلوكية، ويتم إهمال التدخل في الأزمات والمواقف الطارئة، وهذا ما وجده [الباحث] في العديد من المدارس التي قام بزيارتها أثناء إجراء الدراسة.

ومن الأمور الأخرى التي ينبغي التطرق إليها، ما يتعلق بخبرة الطفل في اعتقال الأب، حيث إن معظم الأطفال المبحوثين لم يشهدوا أو يتذكروا حادثة اعتقال الأب، فمنهم من وُلد بعد اعتقال والده، ومنهم من كان عمره شهوراً، باستثناء (3) أطفال يتذكرون حادثة الاعتقال بكل تفاصيلها، وأثناء سردهم لحادثة الاعتقال ظهر من أحاديثهم أنهم ما زالوا تحت تأثير هذه الخبرة، حتى بعد مرور سنوات على حادثة اعتقال الأب.

وفي هذا السياق تذكر المبحوثة سماح حادثة اعتقال والدها عندما كانت طفلة صغيرة: "*كنت يوميها بدي أطلع على الروضة، بس كنت ساخنة مريضة، أمي حاطة إيدها على راسي وواقفين على الشباك بنشوف إذا الباص إجى عشان تقوله، شافت البوابة محطوط امي عليها البرودة* [البارودة تقصد السلاح] *أجت، كان أبوي في الحمام بتوضا عشان يطلع، أجت بسرعة قالت لأبوي إنو اليهود برا، أجا بسرعة طلع من الباب تاع غرفة الضيوف من الجهة الثانية. طلع لحقوه همه طبعاً كانوا محاوطين كل الدار، كانت الدنيا الصبح، طلع وبعرفش بعدين شو صار أجو طلعونا إحنا برا، قعدونا وظلوا بجوز أربع ساعات أو خمسة، حتى كنت أنا مريضة ما قبلوا يفوتوني عند دار عمي عشان إمي تشربني دوا، هَ ساعتين بالموت تا قبلوا إخلونا ندخل، أجت بنت عمي قالت إلها: لاء إنتي اقعدي معاهم، أجا قعَّدها، بعدين هيك بس هيه هربت قالت إلها إمي إمشي على جنب يخليش حدا يشوفك، بعدين فوتني أنا واختي، كانت أختي تداوم مسائي، كانت مش عارف سادس أو رابع، دخلونا الثنتين شربتني دوا وأخذو أمي، حكوا إلها تعالي شوفي سامي موجود بالجيب، أجت أمي قالت إلهم طيب، راحت معهم، أجو دخلوها على الجيب، قال إلها: إحكي بالسماعة ممنوع التجول للناس، أمي قالتلهم بديش* [رفضت] *مقبلتش، بجوز قعدت ساعة معهم ورجَّعوها.*

يظهر من حديث المبحوثة مدى المعاناة النفسية التي شكلتها لها هذه الخبرة القاسية، وقد بدت علامات الحزن والتأثر واضحة على وجهها أثناء سردها للحادثة، وكأن اعتقال الأب قد حصل قبل أيام، في حين أن الأطفال الآخرين الذين لم يشهدوا حادثة اعتقال الأب،

لم يبدون هذا التأثر رغم أنهم أيضاً سردوا تفاصيل حادثة الاعتقال، والتي عرفوها من الأم أو أحد الأقارب.

عامل آخر قد يزيد التأثر باعتقال الأب، هو ارتباط الطفل بوالده قبل الاعتقال خلال العيش معه في الأسرة، الأمر الذي يُشعر الطفل أكثر بالحرمان، نتيجة غياب الأب من الطفل الذي ولد أثناء فترة اعتقال الأب أو كان صغيراً حينها.

وهذا ما يشير إليه جلال عند حديثه عن تأثر أخوه الأكبر، حيث يقول: "*أكثر واحد متأثر فينا أخوي سعد لأنو عاش مع أبوي، هو بظن* [أعتقد] *إنو كان عمره...، وكان في الصف الأول، كان أبوي يأخذه معه، يعني إحنا كلنا متأثرين بس هو أكثر شي لإنو عاش مع أبوي وهو صغير ومتذكر*".

أما سناء رغم إنها تتفق مع جلال أن أخيهم سعد هو الأكثر تأثراً بغياب الأب في الاعتقال، إلا أنها ترى أن السبب في ذلك يعود لتحمل أخيها الأكبر مسؤولية الأسرة، ما يزيد الضغط عليه، حيث تقول: "*أخي سعد الأكبر مني أثر إكثير عليه اعتقال أبي، لأنوا لما بشوف الأولاد الثانيين ابهتاهم شارين لهم كلشي، بسرعة بتحسس، وكمان هو عشان الكبير حامل مسؤولية البيت*".

من خلال ما ذكر أعلاه، يمكن القول بأن مشاهدة الطفل لاعتقال الأب، وارتباطه به، وتحمله مسؤولية الأسرة إذا كان الأكبر، هذه العوامل قد تزيد المعاناة النفسية للطفل ابن الأسير.

الفصل الخامس

مناقشة النتائج والتوصيات

والمقترحات

الفصل الخامس

مناقشة النتائج والتوصيات والمقترحات

مناقشة النتائج

بعد الاطلاع على الأدبيات السابقة المتعلقة بالصحة النفسية للأطفال أبناء الأسرى، تبين أن في معظمها كانت منصبة على دراسة أثر اعتقال الأب على الصحة النفسية، أو إحدى جوانبها، في حين أنها أغفلت الهوية الوطنية والانتماء كعامل يلعب دوراً في زيادة أو تقليل الأثر النفسي لاعتقال الأب. وكوننا نتحدث عن سياق مجتمعي يقع تحت احتلال طويل، فإنه من المفترض أن يعيش حالة نضالية مستمرة، وهذا ما دفع الباحث لتسليط الضوء على انعكاس الهوية الوطنية على الصحة النفسية للأطفال أبناء الأسرى، من خلال معرفة دور الهوية الوطنية في التوافق النفسي لدى الأطفال أبناء الأسرى المؤبدين.

وحتى يتم تحقيق هدف الدراسة والإجابة على الأسئلة، استخدم الباحث المنهج الكيفي، الذي ينطلق من الواقع إلى النظرية، ويمتاز بأنه يدرس ويحلل الظاهرة في أجوائها الطبيعية، ويعطي الفرصة للمبحوث للتحدث عن نفسه، ويبتعد عن "الانسياق وراء الفيض الرقمي من المعطيات الإحصائية وغير الدقيقة والمضللة في أحيان عدة" (عبد المجيد والسقا، 2014). ومن خلال المقابلات المعمقة مع المبحوثين تم التوصل إلى نتائج الدراسة المتعلقة بالسؤال التالي:

ما هو مفهوم الهوية الوطنية الفلسطينية لدى الأطفال أبناء الأسرى المؤبدين؟

- لقد بينت نتائج الدراسة أن مفهوم الأطفال أبناء الأسرى المؤبدين لهويتهم الجماعية الوطنية ينتابه الصراع ما بين الانتماء للوطن والفخر والاعتزاز بالأب وتضحيته، إلى النقمة على مجتمعهم الذي لم يتضامن معهم، ولوم الأطفال لآبائهم لمشاركتهم بالعمل النضالي، الذي نتج عنه اعتقالهم على يد جيش الاحتلال.

إن مفهوم الهوية الجماعية الوطنية لدى الأطفال أبناء الأسرى لا يمكن فصله عن مفهوم الهوية الوطنية لدى أبناء المجتمع الفلسطيني عموماً، والذي يتأثر بواقع السياق الفلسطيني اليوم وظروفه، فبتقدير الباحث أن الحالة الفلسطينية اليوم تعاني من انتكاسة في العمل الوطني، ولعل هذا ناتج عن عوامل عدة، أولها: انسداد الأفق السياسي، وفشل الجهود الدولية لإيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية في إنهاء الاحتلال، الأمر الذي أدى إلى فقدان الأمل لدى الفلسطينيين بإقامة الدولة.

أما العامل الثاني فهو الانقسام السياسي بين حركتي فتح وحماس، واختلافهما الأيدلوجي في تناولهما لمفهوم المقاومة حالياً، بين مفهوم المقاومة من جانب جهادي بالاعتماد على العمل العسكري الذي تمارسه حماس، وبين المقاومة السلمية حسب نهج السلطة، الأمر الذي نتج عنه غياب الرؤية لدى الفلسطينيين في ظل هذه التناقضات والاختلافات مما انعكس سلباً على أبناء المجتمع.

وهناك عامل ثالث: وهو اعتماد شريحة ليست قليلة من الفلسطينيين في مدن الضفة الغربية على العمل داخل الخط الأخضر، وذلك بموجب تصاريح عمل تمنحها السلطات الإسرائيلية للعمال الفلسطينيين ضمن ضوابط معينة، أهمها "الموافقة الأمنية"، وبالتالي فهناك الكثير من العمال يبتعدوا عن المشاركة في العمل الوطني حتى ولو كان سلمياً؛ حرصا على لقمة العيش.

أما العامل الرابع: والذي لا يمكننا إغفاله دور مؤسسات الـ (N G O) والتي انتشرت بشكل واسع في اختراق النسيج المجتمعي الفلسطيني، و"تسليع" القضية الفلسطينية، وقتل التطوع وإغلاق بابه، ونشر الثقافة المادية القائمة على المقابل.

هذه العوامل –وبحسب وجهة نظر الباحث– أدت إلى تراجع في الهوية الوطنية لدى العديد من الفلسطينيين، وخاصة في الضفة الغربية، مما أدى إلى ظهور طبقة أو فئة اجتماعية صغيرة انحصر فيها النضال ضد الاحتلال، كما هو حال عائلات الشهداء والأسرى، في حين ابتعد المعظم من أبناء المجتمع عن المقاومة والنضال وتعايشوا مع الاحتلال كتعايش إنسان مع مرض مزمن، الأمر الذي قذف بأبناء "الطبقة المناضلة" إلى مستوى من التهميش المجتمعي، حيث لم يعد الناس ينظرون لأبنائهم كرموز للنضال كما كان في السابق، وهذا ولَّد لديهم إحباط أدى إلى تشويه هويتهم وانتمائهم الوطني.

هذا التصور توافق مع ما أوردته دراسة بكير (2012) والتي أشارت إلى أن المجتمع الفلسطيني يعاني في الحالة الراهنة من التفكك وضعف التماسك المجتمعي،

وبالتالي دخوله حالة من الإحباط والاغتراب والإيمان بعدم جدوى النضال، وتؤكد على أن هذا الضعف المجتمعي أدى إلى انهيار الإنسان وإصابته بالعديد من الاضطرابات والمشكلات النفسية. بينما بالعودة إلى سياق الانتفاضة الأولى نجد أن الشعور النفسي المجتمعي نجح في حماية الناس في تلك الفترة كونه كان مدفوعاً من الانتماء إلى هوية وطنية تلبي حاجات الفرد النفسية والاجتماعية، وكونه انبثق من قاعدة جماهيرية متمثلة في المنظمات الشعبية التي كان أساسها الالتزام والإحساس بالمسؤولية والترابط العاطفي بالمصير المشترك والإيمان بالقدرة على الوصول إلى الهدف وهو التحرر (بكير، 2011).

- كما اتضح أن معلومات الأطفال أبناء الأسرى حول التاريخ الوطني الفلسطيني قليلة، وهذا له دوره في تعميق الهوية الوطنية وتفعيلها لدى هؤلاء الأطفال.

ولعل السبب في إهمال التاريخ الوطني الفلسطيني يعود إلى الحالة التي يعيشها المجتمع الفلسطيني اليوم، في ظل غياب التعبئة الفكرية للأجيال الشابة، وتراجع الدور التوعوي للتنظيمات، وحالة الإحباط التي تسيطر على أبناء المجتمع.

وحول تأثير حياة أبناء الأسرى اليومية على تشكيل الهوية الجماعية الوطنية لديهم: فقد بينت النتائج ما يلي:

- يعاني معظم الأطفال أبناء الأسرى المؤبدين من التفكك الأسري والمشكلات الاجتماعية، كانفصال الأم عن الأب المعتقل، أو الصراع بين زوجة الأسير وعائلته الممتدة.

ويعتقد الباحث أن هذا أثر سلباً على تشكيل الهوية الوطنية لهؤلاء الأطفال، باعتبار أن من متطلبات تشكيلها وجود ترابط عائلي وثيق، حيث تعتبر البيئة الاجتماعية لا سيَّما العائلة التي ينتمي إليها الطفل أحد محددات تشكيل الهوية لديه (الخالدي، 2010). لذا فإن الطفل في مثل هذه الحالة يرى بأن قضية الجماعة التي ينتمي إليها هي السبب في معاناته اليومية، وبالتالي فإنه ليس من المستغرب أن يؤدي ذلك إلى تدنٍ في هويته الوطنية وضعفٍ في انتماءه الوطني، وخاصةً في ظل غياب الدعم المجتمعي لهذا الطفل المحروم من والده المعتقل لمدى الحياة. وما يترتب على هذا الغياب القسري للأب من مشكلات اجتماعية، كطلاق الأم، أو حدوث صراعات بين الأم وعائلة الأب الممتدة، وغير ذلك.

- تعتبر زيارات الأطفال أبناء الأسرى لآبائهم بالسجون جزءاً من المعاناة اليومية المستمرة، نتيجة الإجراءات المشددة التي تقوم بها سلطات الاحتلال، فالزيارة في كل مراحلها – التي تبدأ من ساعات الفجر وحتى وقت متأخر من المساء– عبارة عن سلسلة كبيرة من الإجراءات الشاقة والمهينة، ويعتبر التفتيش الذي قد يصل أحياناً إلى التفتيش العاري للشخص، من أبرز الأساليب التي يستخدمها الاحتلال منذ سنوات طويلة، ويضاف إلى ذلك رفض إدارة السجن إدخال أية مستلزمات شخصية للأسرى، كالملابس والأطعمة أو الكتب تحت حجج أمنية (الطهراوي، 2015).

ويضيف الباحث –حسب تجربته في الاعتقال–، أنه في بعض الأحيان يعود الأهل بعد كل هذه الإجراءات الشاقة دون رؤية أبنائهم نتيجة نقلهم المفاجئ لسجن آخر، أو إخراجهم للمحكمة، أو إجراءات عقابية أخرى بحق الأسير.

أما بخصوص الحالة النفسية للأطفال أبناء الأسرى المؤبدين، فقد اتضح:

- أن معظم الأطفال أبناء الأسرى المؤبدين لديهم معاناة نفسية، وخاصة الأطفال الذين شهدوا حالة اعتقال الأب وما زالوا يذكرونها، ويعود ذلك لعدة عوامل، الأول: تأثير مشهد اعتقال الأب والتنكيل به أمام أسرته على الطفل، أما الثاني: فيعود للارتباط الذي نشأ بين الطفل ووالده قبل الاعتقال، والذي أدى إلى شعوره بالحرمان أكثر من إخوانه الذي ولدوا بعد الاعتقال أو كانوا صغاراً حينها، أما العامل الثالث: فيتعلق بتحمل الطفل الأكبر مسؤولية الأسرة لا سيَّما إن كان ذكراً، الأمر الذي يزيد من معاناته النفسية.

- كما تبين أن الأطفال الذين يعيشون في إسر يغلب عليها طابع التدين كانوا أكثر توافقاً نفسياً واجتماعياً، إذ شكلت الهوية الدينية عامل جَلَد لديهم.

وبحسب وجهة نظر الباحث، فلا بدَّ من الانتباه أيضاً إلى بعد آخر له علاقة بالهوية الدينية، وهو بعد المقاومة، على اعتبار أن التنظيمات الدينية الفلسطينية، كالجهاد الإسلامي وحركة حماس هي تنظيمات تمارس المقاومة من "منظور جهادي" اعتماداً على العمل العسكري، وبالتالي فإن هذا يعطي أملاً للأطفال بأن هذه التنظيمات قادرة على تحرير آبائهم من الاعتقال.

- واتضح أيضاً أن الأطفال أبناء الأسرى المؤبدين يدركون خصوصيتهم كفئة مختلفة عن أبناء الأسرى الآخرين، حيث يقضي آباؤهم حكماً لمدى الحياة، كما أن غالبيتهم يدركون أن قضية آبائهم لن تحل إلا من خلال صفقات تبادل أسرى.

فنحن عندما نتطرق إلى الأسرى الفلسطينيين ذوي الأحكام المؤبدة، فإن هذا يعني بأن الحديث يدور حول مئات العائلات التي لديها أبناء حكموا لمدى الحياة في السجون الإسرائيلية، ويتصور الباحث بأن هذه الفئة من الأسرى لها خصوصية (كما أشير سابقاً)، حيث يطلق عليهم الساسة في إسرائيل بـ "أصحاب الأيدي الملطخة بالدماء"، بمعنى أنهم أدينوا بقتل أو جرح إسرائيليين. وتاريخياً وعلى مدار سنوات طويلة من المفاوضات، اعتبرت إسرائيل أن هذه الفئة من الأسرى خط أحمر لا يمكن تجاوزه أو حتى بمجرد الحديث عنه، لذا فإنها عملت على استثنائهم من عمليات الأفراج التي تبعت اتفاق أوسلو عام 1995 وما تلاه من تفاهمات، مستغلة بذلك ضعف الطرف الفلسطيني، ولهذا فإنه ليس من المستغرب بأن يتكون لدى عائلات هؤلاء الأسرى، تصور وإدراك واضح بأن المفاوضات لن تعيد لهم أبنائهم. وبالتالي، فإن أنظارهم تتجه نحو فصائل المقاومة الفلسطينية الممارسة للعمل العسكري، والذي من خلاله يمكن أسر جنود إسرائيليين ومبادلتهم بأسرى ذوي أحكام عليا ومؤبدة. لكن على نحو مختلف، لا بد من الإشارة هنا أن بعض المبحوثين كانوا يائسين من إطلاق سراح آبائهم في المستقبل القريب، كون عملية التبادل تحتاج إلى جهد ووقت طويل، كما أن إتمام أي صفقة تبادل يبقى رهن الأحوال السياسية الفلسطينية وربما الإقليمية، وهذه عملية قد تكون شبه معقدة، وبالتالي فإن الذي يستثنى من الإفراج في إحدى هذه الصفقات، فإن هذا يعنى بأنه خسر فرصة ثمينة يصعب التنبؤ بمتى تعود، وأدل شاهد على ذلك، أن هناك عشرات من الأسرى ما زالوا يقضون في الاعتقال منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

- كما تبين أن الأطفال أبناء الأسرى المؤبدين يمرون بأزمات نفسية أخرى أثناء صفقات التبادل، وعلى وجه التحديد عندما تُتَداول الأسماء التي ستشملها الصفقة على مواقع التواصل الاجتماعي وفي أوساط عائلاتهم، ثم تتغير لاحقاً هذه الأسماء، الأمر الذي يزيد من المعاناة النفسية للأبناء بعد الأمل الذي عاشوه خلال المدة السابقة للصفقة.

وجميع الأطفال الذين تم مقابلتهم ذكروا بأنهم أُخبروا [كما تمت الإشارة مسبقاً] أن الصفقة [صفقة وفاء الأحرار] ستشمل آبائهم، لذا فإنهم كانوا ينتظرون بشوق ولهفة لحظة تنفيذ الصفقة وإطلاق سراح الأسرى، لكن المفاجئة المؤلمة ببقاء آبائهم في الاعتقال.

وبتقدير الباحث، فإن هذه القضية في غاية الأهمية؛ لأن هؤلاء الأطفال الذين مرُّوا بتلك التجربة، يحتاجون إلى تدخل نفسي على مستوى المدرسة والأسرة.

ومن المؤسف جداً في هذا السياق، أنه اتضح ومن خلال أحاديث الأطفال المبحوثين غياب دور المدرسة في توفير الدعم النفسي اللازم لهم، وقلة متابعة العديد منهم، وخاصة في الظروف الطارئة لا سيَّما أوقات صفقات التبادل، والتي كان آخرها الصفقة التي تم الإشارة إليها.

- إن هبوط التضامن المجتمعي مع الأسرى وقضيتهم، أثر بشكل سلبي على تشكيل الهوية الوطنية والصحة النفسية لدى أبنائهم، حيث شعر هؤلاء الأطفال بأنهم "ضحايا منسيين"، وأن المجتمع أهملهم.

التوصيات:

واستكمالاً للجوانب ذات العلاقة بهذه الدراسة، فقد خرج الباحث بالتوصيات الآتية:

1. الاهتمام بالتاريخ الوطني الفلسطيني وتوصيله إلى الأجيال الشابة عبر نظم التعليم الرسمية وغير الرسمية.
2. إيجاد إحصائيات تخص وزارة التربية والتعليم تتعلق بأعداد الأطفال ذوي الأسرى وتوزيعاتهم حسب المدارس، لتسهيل الوصول إليهم عند إجراء أي تدخلات نفسية.
3. العمل على تعزيز الهوية الوطنية لأبناء الأسرى كوسيلة لمساعدتهم على التكيف النفسي والاجتماعي، من خلال إبراز الأطفال أبناء الأسرى في الأنشطة المدرسية، وإعطائهم فرصة للحديث عن تجاربهم وزيارتهم للسجون؛ لتحويل تجربة اعتقال الأب إلى عنصر قوة لدى الطفل تشعره بالتميز.
4. تصميم برامج إرشادية للأطفال أبناء الأسرى تقوم على تفعيل التجارب المؤلمة، والبحث عن وسائل الصمود، من خلال الاستفادة من تجارب الأطفال الآخرين، بحيث يستمد الأطفال الدعم النفسي من أقرانهم الذين يعيشون نفس الظروف.
5. الاستعداد للتدخل الطارئ مع الأطفال أبناء الأسرى ذوي الأحكام العليا الذين يستثنى آبائهم من الإفراج في حال حدوث صفقات وإفراجات.
6. تفعيل قضية الأسرى على مستوى مؤسسات المجتمع المدني، والمشاركة في الوقفات التضامنية معهم.

7. تعاون مؤسسات المجتمع المحلي في الاهتمام بعائلات الأسرى وأطفالهم والقيام بزيارات منزلية لهم ومتابعتهم باستمرار.

المقترحات:

كما اقترح الباحث عدداً من الدراسات والبحوث العلمية:

1. إجراء دراسة تربط بين الهوية الدينية والجَلَد لدى الأطفال أبناء الأسرى المؤبدين.
2. إجراء دراسة حول الجلد لدى زوجات الأسرى المؤبدين.
3. إجراء دراسة حول اتجاهات عائلات الأسرى ذوي الأحكام العليا نحو الإنجاب من داخل السجون عبر النطف المهربة.
4. إجراء دراسات وبحوث متكاملة في أنحاء فلسطين فيما يتعلق بتأثير اعتقال الأب على التنشئة الاجتماعية والثقافية للأطفال.
5. إجراء دراسة حول دور تفعيل قضية الأسرى في البرامج الإعلامية في بناء مفهوم الذات لدى الأطفال أبناء الأسرى المؤبدين.

محدودية الدراسة

انطلاقاً من مبدأ الموضوعية في البحث العلمي، تناول الباحث في هذا الجزء من الدراسة العقبات التي اعترضته، سواء على المستوى النظري أو على المستوى الميداني، والتي ربما كان لها تأثيرٌ سلبيٌ على نتائج الدراسة:

الأول: على المستوى النظري

- عدم وجود دراسات عالمية تتعلق بأطفال تم أسر آبائهم على خلفية قضايا وطنية، وبالتالي تم مراجعة دراسات تتعلق بغياب الأب لأسباب أخرى كالهجرات، أو السجون.
- تناول موضوع الصحة النفسية بشكل شمولي أدى إلى طرح العديد من المفاهيم، والتي كانت بحاجة إلى توسع وتوضيح.

ثانياً: على المستوى الميداني

- هدفت الدراسة في البداية إلى تناول الأطفال أبناء الأسرى المؤبدين من الفئة العمرية (10–17) سنة، لكن تعذر وجود أطفال من عمر (10) و(11) سنة، لذا فقد اقتصرت الدراسة على الفئة العمرية من (12–17) سنة.
- اثنان من المبحوثين رفضا التسجيل الصوتي للمقابلة، وتم الاقتصار على أخذ ملاحظات مكتوبة.

- مقابلة الإناث في المدارس كانت تجرى في أغلبها بوجود معلمة أو مرشدة، نظراً لخصوصية الثقافة الفلسطينية، والتي تقيد التعامل مع الإناث، وخاصة في المجتمع الريفي، الأمر الذي كان له دور في إعاقة سير المقابلة في بعض الأحيان لعاملين: أولهما: قد يقوم المبحوث بإسقاط بعض المعلومات –والتي لها أهمية في الدراسة– تحرجاً من وجود شخص آخر غير الباحث في المقابلة. أما العامل الثاني: فيتعلق بتدخل الطرف الثالث الموجود في سير المقابلة وحديث المبحوث في بعض الأحيان.

المصادر والمراجع

المصادر العربية

أبو إصبع، صالح وآخرون (2005). **الإطار النظري والفكري بين الإرهاب والمقاومة، تجارب عربية وعالمية، الخطاب الإعلامي والمقاومة**، أوراق مؤتمر فيلادليفيا الدولي العاشر– المؤتمر الدولي لكلية الآداب والفنون، 25–28– نيسان (أبريل) 2005، الأردن.

أبو حبيب، نبيلة أحمد (2010). **الضغوط النفسية واستراتيجيات مواجهتها وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لدى أبناء الشهداء في محافظات غزة**، جامعة الأزهر، فلسطين (رسالة ماجستير غير منشورة).

أبو الجديان، عماد (2015). **دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية السليمة وأثرها على سيكولوجيا الطفل** pulpit.alwatanvoice.com/articles/2015/04/16/36333.html

أبو دحو، رلى وآخرون (2010). **أمكنة صغيرة وقضايا كبيرة، ثلاثة أحياء فلسطينية في زمن الاحتلال**، ط 1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

أبو ريان، نهاية محمود (2014). **التغير في البناء الاجتماعي للأسرى السياسيين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية بعد عام 2000**، جامعة بيرزيت، فلسطين (رسالة ماجستير غير منشورة).

أبو سكران، عبد الله يوسف (2009). **التوافق النفسي والاجتماعي وعلاقته بمركز الضبط (الداخلي والخارجي) للمعاقين حركياً في قطاع غزة**، الجامعة الإسلامية، فلسطين (رسالة ماجستير غير منشورة).

أبو صبح، أماني موسى (2011). **دور الهوية الجماعية الفلسطينية في تحقيق التوافق النفسي للأفراد عقب الصدمة الناجمة عن التعرض للعدوان العسكري**، جامعة بيرزيت، فلسطين (رسالة ماجستير غير منشورة).

أبو ندا، أشرف صقر (2014). **الهوية الفلسطينية المتخيلة بين التطور والتأزم**، مجلة المستقبل العربي، العدد 423.ص82-97.

أبو هين، فضل خالد (2001). **تقدير الذات وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي لدى الشباب الفلسطيني المشارك في انتفاضة الأقصى**. مجلة جامعة الأقصى، مجلد 5، العدد 2، ص 117-154.

البداينة، ذياب (1999). **الصورة النمطية للعرب والغرب واليهود لدى الطلبة الأردنيين**، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 11، ص33-64.

إسكافي، ابتسام (2013). **الهوية الوطنية الفلسطينية في ظل العولمة**، بحث في تغير الأحوال والعلاقات، ط1، القدس: فلسطين.

ال عبد الله، محمد بن محمود (2012). **علم النفس الاجتماعي ودور الأسرة في التنشئة الاجتماعية**، ط1، كنوز للنشر والتوزيع: القاهرة.

بكر، أحمد وآخرون (1991). **الطفل الفلسطيني في الأراضي المحتلة، أوضاعه الصحية، الاجتماعية– الاقتصادية، النفسية والتربوية**، مؤسسة التعاون– جنيف، القدس.

البرغوثي، مروان وآخرون (2010). **مقاومة الاعتقال**، ط 1، شركة مؤسسة الأيام، فلسطين.

بكير، رنا عدنان (2012). **التحولات في اللحمة الاجتماعية والمفهوم السيكولوجي المجتمعي في السياق الفلسطيني بين الأولى والوقت الراهن**، جامعة بيرزيت، فلسطين (رسالة ماجستير غير منشورة).

بلبيسي، عبد القادر (2011). **التنشئة الاجتماعية والبناء المتكامل لشخصية الطفل الفلسطيني**، مجلة البحوث والدراسات التربوية الفلسطينية، ع (17)، ص 138– 170.

حجيرات، موسى (2008). **الهوية الجماعية لأبناء الأقلية العربية في دولة إسرائيل**، ط1، دار الهدى: كفر قرع.

حسين، علي عبد الحسن، وعبد اليمة، حسين عبد الزهرة (2011). **التوافق النفسي والاجتماعي وعلاقته بتقدير الذات لدى طلبة كلية التربية الرياضية جامعة كربلاء**، مجلة القادسية لعلوم التربية الرياضية، المجلد (11) العدد (3)، ص177–218.

حسين، هيثم فواز (2007). **المؤشرات السلوكية والانفعالية غير السوية لدى أطفال الأسرى في شمال الضفة الغربية من وجهة نظر أمهاتهم**، جامعة اليرموك، الأردن (رسالة ماجستير غير منشورة).

حمدان، ناهدة عصام (2007). **مستوى تقدير الذات وعلاقته بالاتزان الانفعالي لدى طلبة جامعة القدس**، جامعة القدس، فلسطين (رسالة ماجستير غير منشورة).

حمدونة، رأفت خليل (كانون الثاني 2016). **أطفال النطف المهربة، ثورة إنسانية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية**، مركز أحرار للدراسات. http://araavoice.ps/uploads/documents/c66d

حمود، فريال (2011). **مستويات تشكل الهوية الاجتماعية وعلاقتها بالمجالات الأساسية المكونة لها لدى عينة من طلبة الصف الأول الثانوي من الجنسين، دراسة ميدانية في المدارس الثانوية العامة في مدينة دمشق**، مجلة جامعة دمشق- المجلد 27، ص553-596.

الخالدي، محمد علي (2010). **تجليات الهوية، الواقع المعاش للاجئين الفلسطينيين في لبنان**، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

جابر، فراس وسلامة، بلال (2003). **ثقافة الإنسان المقهور وعلاقتها بالممارسة السياسية**، المركز الفلسطيني لتعميم الديمقراطية وتنمية المجتمع (بانوراما)، القدس.

جربان، فداء (2012). **الآثار النفسية للتمييز العنصري على الضحية وكيفية مواجهتها: تجربة الطلبة الفلسطينيين الجامعيين على جانبي الخط الأخضر**، جامعة بيرزيت، فلسطين (رسالة ماجستير غير منشورة).

الجزار، هاني (2009). **الشباب وأزمة الهوية- رؤية نفسية اجتماعية**. ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

داود، عزيز حنا (1988). **الصحة النفسية والتوافق**. معهد التدريب والتطوير التربوي، مكتبة المنتصر للطباعة، بغداد.

دياب، مروان عبد الله (2006). **دور المساندة الاجتماعية كمتغير وسيط بين الأحداث الضاغطة والصحة النفسية للمراهقين الفلسطينيين**. الجامعة الإسلامية، فلسطين (رسالة ماجستير غير منشورة).

ذوقان، عرفات صبحي (2010). **المشكلات الاجتماعية والنفسية لزوجات الأسرى الفلسطينيين وتصور لبرنامج مقترح لمواجهتها من منظور العلاج الأسري في خدمة الفرد**، جامعة حلوان، مصر (رسالة ماجستير غير منشورة).

زايد، أحمد (2006). **سيكولوجيا العلاقات بين الجماعات، قضايا في الهوية الاجتماعية وتصنيف الذات**، شركة مطابع المجموعة الدولية، الكويت.

زعول، لؤي زيدان وحيد (2007). **الاضطرابات السلوكية لدى أطفال أسر المعتقلين الفلسطينيين في محافظة بيت لحم من وجهة نظر الأمهات**، جامعة القدس: القدس.

زغبيب، ياسر (2004). **فلسطينيو 1948 الهوية، الواقع والمستقبل**، مركز باحث للدراسات، بيروت.

زيتون، كمال عبد الحميد (2006). **تصميم البحوث الكيفية ومعالجة بياناتها الكترونياً**، ط1، علم الكتب: القاهرة.

سارة، فايز (1988). **البنية الاجتماعية للانتفاضة الفلسطينية**، شؤون فلسطينية، العدد 189، ص3- 19.

ستراوس، انسليم، كوربين، جوليت. ترجمة الخليفة، عبد الله بن حسين (1999). **أساسيات البحث الكيفي أساليب وإجراءات النظرية المجذرة**، الرياض: معهد الإدارة العامة.

سرحان، باسم (2005). **تحولات الأسرة الفلسطينية في الشتات، دراسة سوسيولوجية مقارنة**، ط1، مؤسسة الدراسات العربية: بيروت.

سعاد، آيت حبوش (2013). **العلاج الأسري النفسي للأطفال المحرومين من الأب بالإهمال، دراسة ميدانية لخمس حالات**، جامعة وهران، الجزائر (أطروحة دكتوراه غير منشورة).

سـكاي نيـوز (2016). **أبـرز صـفقات الإفـراج عـن أسـرى فلسـطينيين**. www.skynewsarabia.com

السلامة، ناصر رفيق (2004). **أداء المرشد التربوي في المدارس الحكومية الثانوية في مدارس محافظة جنين من وجهة نظر كل من الإداريين والمعلمين**، جامعة النجاح، فلسطين (رسالة ماجستير غير منشورة).

السائح، أمجد رامز (تشرين أول 28، 2014). "**إشكالية الهوية الوطنية الفلسطينية: مراحل تكونها والاغتراب فيها**" www.palestineland.netindex.php/conten

شطي، نور الهدى وهونت، غيليان لواند (2007). **أطفال فلسطين والهجرة–العيش في ظل الهجرة القسرية في الشرق الأوسط**، (ط1)، مؤسسة الدراسة الفلسطينية: بيروت.

صولي، إيمان (2015). **واقع المناخ المدرسي في المدارس الجزائرية، دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ التعليم المتوسط والثانوي بمدينة ورقلة**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 19،ص 249–258.

الطهراوي، عبد الرحمن (2015). **المعاناة ترافق أهالي الأسرى الفلسطينيين أثناء زيارة ذويهم**. www.alaraby.co.uk./plitics/2015/4/16

عبد الحميد، مهند (2012)، "**الوفاء للأحرار**": **الصفقة الأكثر إثارة بين صفقات تبادل الأسرى**، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد (89).

عبد الرحمن، برهان حافظ (2010). **دور التعليم العالي في تعزيز الهوية الفلسطينية وأثره على التنمية السياسية من وجهة نظر الطلبة والعاملين جامعة النجاح أنموذجا**، جامعة النجاح، فلسطين (رسالة ماجستير غير منشورة).

عبد المجيد، أيمن، والسقا، أباهر (2014). **دليل ومبادئ عمل تطبيقية حول البحوث الميدانية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، تقييم التجربة ورؤية للمستقبل**، مركز دراسات التنمية، جامعة بيرزيت.

العجمي، راشد مانع (2014). **فاعلية برنامج إرشادي جماعي لتحسين مستوى التوافق النفسي والاجتماعي لدى أبناء الأسر المطلقة في المرحلة المتوسطة (11-14 سنة)**، دراسة تجريبية على عينة من أبناء الأسر المطلقة في دولة الكويت، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، جامعة دمشق.

عقلة، محمد (1990). **نظام الأسرة في الإسلام**، ط 2، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان.

علي، صبرة محمد وشريف، محمد عبد الغني (2004). **الصحة النفسية والتوافق النفسي**. دار المعرفة الجامعية: مصر.

علي، ناصر خالد حسن (2012). **سياسة الاعتقال الإسرائيلية وانعكاساتها الاجتماعية والاقتصادية على أسر المعتقلين الفلسطينيين- دراسة عينة من أسر المعتقلين في قطاع غزة**. جامعة الأزهر، فلسطين (رسالة ماجستير غير منشورة).

عيد، إبراهيم سليمان (2015). **اتجاهات المعلمين ومدراء المدارس نحو المرشدين التربويين ومنسقي مبادرة الاحترام والانضباط بمدارس وكالة الغوث بمحافظة الوسطى**، جامعة الأزهر، فلسطين (رسالة ماجستير غير منشورة).

كناعنة، شريف (1988). **التأثير النفسي للعنف على الطفل الفلسطيني**، وقائع مؤتمر تأثير العنف الإسرائيلي، القدس.

كناعنة، مصلح، وماريت نتلاند (2003). **أعماق الذات المنتفضة: السيرة النفسية والاجتماعية للشباب الفلسطيني الذي نشأ في جو الألم والأمل والإحباط بين الانتفاضتين**، حيفا، الجمعية النرويجية الفلسطينية.

قراقع، عيسى، والمطور، جميل أبو حمام (1999). **اقتحام الوعي العالمي في انتفاضة أسرى فلسطين في سجون الاحتلال**، نادي الأسير الفلسطيني، الضفة الغربية.

قعدان، أحمد جميل (2002). **المشكلات التي تواجه أسر المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية**، معهد البحوث العربية (رسالة ماجستير غير منشورة).

القلقيلي، عبد الفتاح وأبو غوش، أحمد، ورقة عمل رقم 13 نيسان 2012. **الهوية الوطنية الفلسطينية خصوصية التشكل والإطار الناظم**، المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان والمواطنة / بديل، بيت لحم.

القلقيلي، عبد الفتاح (2015). **الهوية جذور ومسار**، أوراق فلسطينية، مؤسسة ياسر عرفات، ع (8)، رام الله، ص43-58.

فريري، باولو (2003). **نظرات في تربية المعذبين في الأرض**، ترجمة: مازن الحسيني، ط1، دار التنوير للنشر والترجمة والتوزيع، المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية، رام الله: فلسطين.

لعمش، سومية (2016). **الجلد النفسي لدى أم الطفل المصاب بمتلازمة داون- دراسة عيادية لثلاث حالات**، جامعة محمد خيضر، الجزائر (رسالة ماجستير غير منشورة).

محمد، عادل عبد الله (2000). **دراسات في الصحة النفسية الهوية- الاغتراب- الاضطرابات النفسية**، ط1، دار الرشاد: مصر.

مجلة الدراسات الفلسطينية (2014). **السجون والمعتقلات الإسرائيلية**، ملف أسرى الحرية العدد (98)، ص97-112.

محمود، خالد وليد (كانون أول 2017). **قراءة في صفقة تبادل الأسرى بين حماس وإسرائيل**، Htps://www.dohainstitute. org/ar/political studies/pages/reading-into-the-prisoner-swap-deal-between-Hamas-and-Israel-aspx

محمود، محمود كاظم، وغولي، حسن أحمد، وخلف، نهاية جبر (2010). **القلق من العولمة وعلاقته بالهوية الوطنية لدى طلبة الجامعة**. مجلة الأستاذ، ع (105)، جامعة بغداد.

محيي الدين، مؤمنة فيصل (2017). **أزمة الهوية وعلاقته بالسلوك الإجرامي لدى الجانحين بإصلاحية الجريف بالخرطوم**، جامعة الرباط الوطني، السودان (رسالة ماجستير غير منشورة).

المرشدي، عماد حسين عبيد (2011). **تطور فهم الهوية لدى المراهقين**، كلية التربية الأساسية، جامعة بابل.

مكاوي، إبراهيم (2002). **الحركة الطلابية الفلسطينية في الداخل كمدرسة لبلورة الهوية القومية**، مجلة كنعان، ع (108)، ص76 – 104.

مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة (2017). **موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب**، الجزء الثاني، جامعة القدس.

مركز أحرار لدراسات الأسرى (أبريل 2015). **تقرير مطول يكشف معاناة الأسرى في سجون الاحتلال** https//paltody.ps/ar/post/235181.

مركز الخيام لتأهيل ضحايا التعذيب (نيسان 2013). **الذكرى ال 28 لإقفال معتقل أنصار**. www.Khiamceter.org/ar/p.php?lang=ar&aid=33

المزعنن، أحمد محمد (كانون أول، 2017). "**العبث في الهوية والماهية**". http:// www.mushahe.net/vb/showthred.php?t=9004` (Mushahed).

مؤسسة الدراسات الفلسطينية (1983). **فلسطين تاريخها وقضيتها**، ط1، بيروت.

مؤسسة لجان العمل الصحي (كانون أول 2017). **مفهوم الهوية**، https://sfla086ba06el9ff_ jimcontent.com/

مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان (2014). **عائلات الأسرى والمعتقلين وزيارات السجون**، www.addameer.org/ar/publication/

مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان (تموز 2016). **تقرير نصف سنوي للعام 2016 صادر عن مؤسسات الأسرى**، ww.addameer.org/sites/defult/files/publication/tqryr_nsfsnwy_im_2016_sd_n_mwsst_Isr_pdf

ميعاري، محمود (2004). **أثر الانتفاضة في الهوية الجماعية الفلسطينية**، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد (58).

ميعاري، محمود (2008). **تطور هوية الفلسطينيين على جانبي "الخط الأخضر"**. مجلة الدراسات الفلسطينية، مجلد (19)، عدد (74-75).

ناصر، رونا (2013). **عقلية المستعمر: تجربة الشباب الفلسطيني في القدس**، جامعة بيرزيت، فلسطين (رسالة ماجستير غير منشورة).

نشوان، حسين عبد الله (1998). **أطفال فلسطين، أثر الاحتلال وممارساته في تشويه النمو النفسي والبدني للطفل الفلسطيني**، دار الينابيع: عمان.

هيبرغ، ماريان وآخرون (1994). **المجتمع الفلسطيني في غزة والضفة الغربية والقدس العربية: بحث في الأوضاع الحياتية**، ترجمة: عفيف الرزاز، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

هيئة شؤون الأسرى والمحررين (2017). **في الذكرى الخمسين للاحتلال الإسرائيلي، مليون فلسطيني دخلوا سجون الاحتلال**، تقرير إحصائي http://cda.gov.ps/index.php/ar-prisoner-movement/2017-6-1-533/2447-2447.

وادي، أنور سعدي عليان (2004). **التوافق النفسي والاجتماعي لدى أبناء الفلسطينيين المحررين من السجون الإسرائيلية بمدينة غزة**، جامعة الأزهر، فلسطين (رسالة ماجستير غير منشورة).

المقابلات

سيف، منال (2015). **مقابلة شخصية أجريتها معها**، بتاريخ 10-12- 2015، وتم أخذ ملاحظات دون تسجيل، رام الله.

المصادر الأجنبية

Breakwell, G. (2004). **Doing Social Psychology Research,** British psychological society and black well publishing Ltd.

Brewer, M. & Hewestone, M. (2004). **Self and Social Identity,** Vol.4,Black well publishing, Ltd.

Falah, Ghazi (1996). **The 1948 Israeli- Palestinian War and its Aftermath: The Transformation and De-Signification of Palestine's Cultural Landscape,** Association of American Geographers, Published by Blackwell Publishers, Cambridge and Oxford, pp 256-285.

Fanon, F. (1963). **The wretched of the earth,** (1st ed) New York: Grove Press.

Hilal, J. (2010). **The Polarization of the Palestinian Political Field,** Journal of Palestine Studies, vol. (39), No. (3), pp.24-39.

Jan E. Stets & Peter J.Burke (2000). **Social psychology Quarterly,** American Socioloqical Association, Vol. (63), No. (3), pp 224-237.

Joseph, M. & David, P. (2005). **Parental imprisonment: Effects on boy's antisocial behaviour and delinquency through the life-course. Journal of child psychology and psychiatry, Vol. (**64), No. (12), PP. 1269-1278 Search. Epnet.com EBSCO.

Makkawi, Ibrahim, (2009).**Towards an emerging paradigm of critical community psychology in Palestine. The journal of critical psychology, counseling and psychotherapy**, pp 75-85.

Najafi, M., Akochkian, S., & Nikyar, H. (2007). **Being child of prisoners of war.** Behavioural science research center, nour medical center, Iran Vol. (18), No. (2), PP: 154-158.

Nelson, G. & Prilleltensky, I. (2009). **Community Psychology In pursuit of liberation & Well- being.** 2nd ED.

Penning, Donald, Glille, kate & Hill, Pam (2001). **Social Psychology,** London, Oxford University Press Inc, New York (NY) 1006.

Rosa, M., Nelly, S., Marth, R.& Maria E. (2004). **Paterneal absence and international migration: stressors and compensators associated with the mental health of Mexican teenagers of rural origin.** Adolescences, Vol. (39). No. (156), PP 711-723. Search Epnet. Com/ EBSCO.

Shehadeh, A. & Others (2015). **The association between parental imprisonment and the mental health of Palestinian adolescents.**

Tajfel, H. & Tuner, J. (1986). **The social identity theory of intergroup behavior**. In S.Worchel& W. Austin (Eds).

ملحق رقم (1)

أسئلة المقابلة

- **كيف تنظر إلى نفسك كفلسطيني؟**
- **ماذا يعني لك انك ابن أسير؟**
- **ماذا تعرف عن تاريخ فلسطين والقضية الفلسطينية؟**
- **ما رأيك في المشاركة في المناسبات والفعاليات الوطنية؟**
- **هل تذكر حادثة اعتقال والدك؟ إذا كان (نعم) حدثني بالتفصيل.**
- **كيف اثر اعتقال والدك على حياتك؟ وكيف أثر على حياة أسرتك؟**
- **كابن أسير محكوم بالمؤبد، ماذا تعني لك هذه كلمة مؤبد؟**
- **كيف تنظر إلى المستقبل؟ وهل لديك أمل بقرب الإفراج عن والدك؟**
- **حدثني كيف نومك؟**
- **حدثني عن تحصيلك الدراسي؟**
- **هل أنت راضي عن نفسك؟**
- **برأيك، كيف يتعاطى المجتمع الفلسطيني، مع قضية الأسرى؟**
- **كيف يؤثر موقف الناس من قضية الأسرى على نفسيتك؟**

ملحق رقم (2)

يوضح هذا الجدول عدد الأسرى ذوي الأحكام المؤبدة

وتوزيعهم حسب المناطق الجغرافية[*]

المنطقة الجغرافية	عدد الأسرى
رام الله	60
نابلس	60
جنين	56
طولكرم	45
قلقيلية	14
سلفيت	4
طوباس	6
أريحا	2
القدس	44
الخليل	55
بيت لحم	33
قطاع غزة	12
الخط الأخضر	15

[*] تمَّ الحصول على هذه الإحصائيات من هيئة الأسرى المحررين في أيار عام 2015.

ملحق رقم (3)

رسالة أسير لابنته(*)

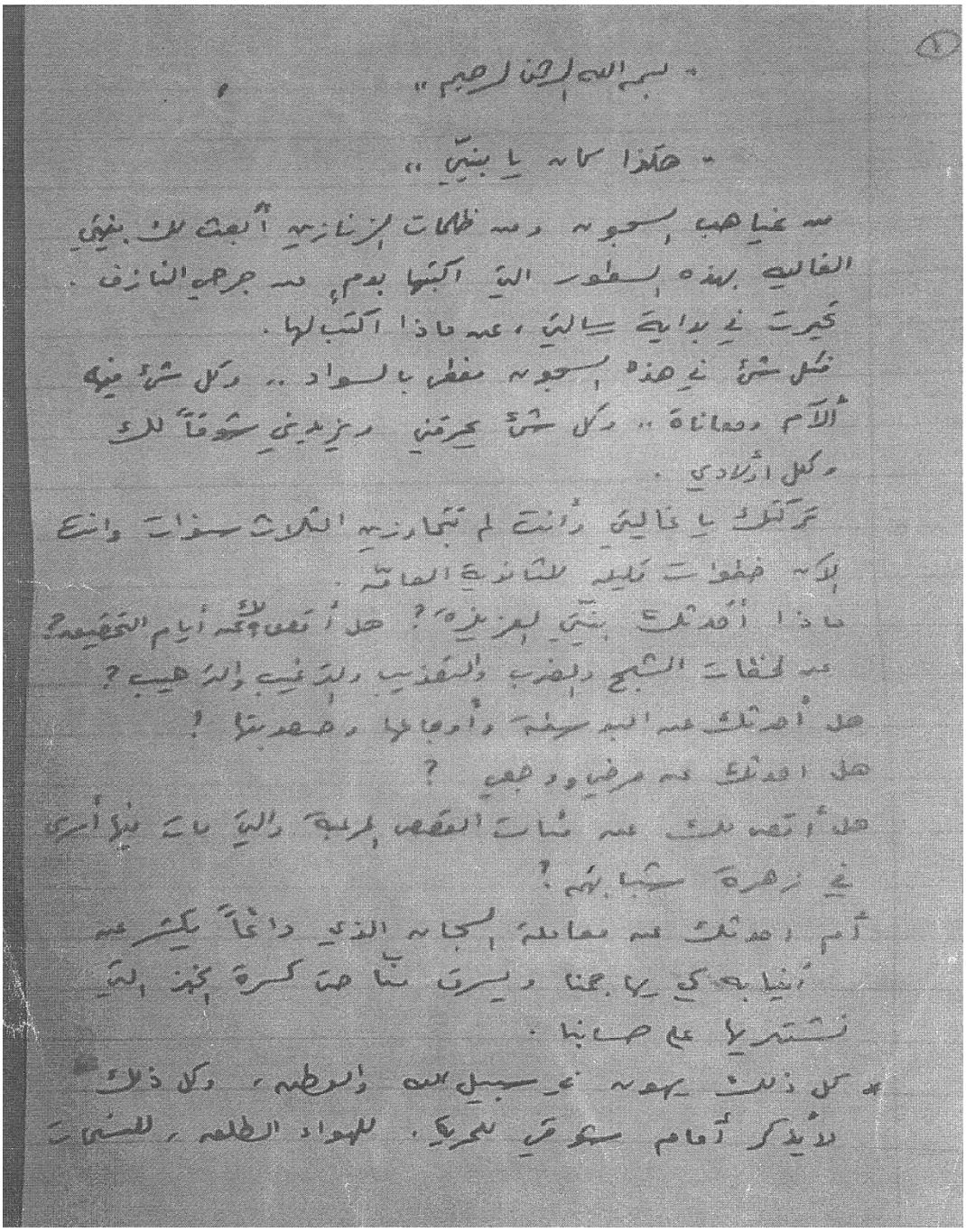

(1)

"بسم الله الرحمن الرحيم"

"هكذا كان يا بنيتي"

من غياهب السجون ومن ظلمات الزنازين أبعث لك بنيتي
الغالية بهذه السطور التي أكتبها بدمي، من جرحي النازف.
تحيرت في بداية رسالتي، عن ماذا أكتب لها.
فكل شيء في هذه السجون مغطى بالسواد.. وكل شيء فيه
الآلام ومعاناة.. وكل شيء يحرقني ويزيدني شوقاً لك
ولكل أولادي.
تركتك يا غاليتي وأنت لم تتجاوزين الثلاث سنوات وانتِ
لكِ خطوات قليلة للشارع العام.
ماذا أحدثك بنيتي العزيزة؟ هل أقص لك أيام التحقيق؟
عن لحظات الشبح والضرب والتعذيب والترغيب والترهيب؟
هل أحدثك عن البوسطة وأوجاعها ومصائبها!
هل أحدثك عن مرضي ووجعي؟
هل أقص لك عن مئات القصص المرعبة والتي مات فيها أسرى
في زهرة شبابهم؟
أم أحدثك عن معاملة السجان الذي دائماً يكشر عن
أنيابه كي يجرحنا ويسرق منا حتى كسرة الخبز التي
نشتريها من حسابنا.
* كل ذلك يهون في سبيل الله والوطن، وكل ذلك
لا يذكر أمام سعادتي بحريتك، للهواء الطلق، للسماء

(*) تمَّ أخذ موافقة عائلة الأسير على استخدام هذه الرسالة في ملاحق الدراسة.

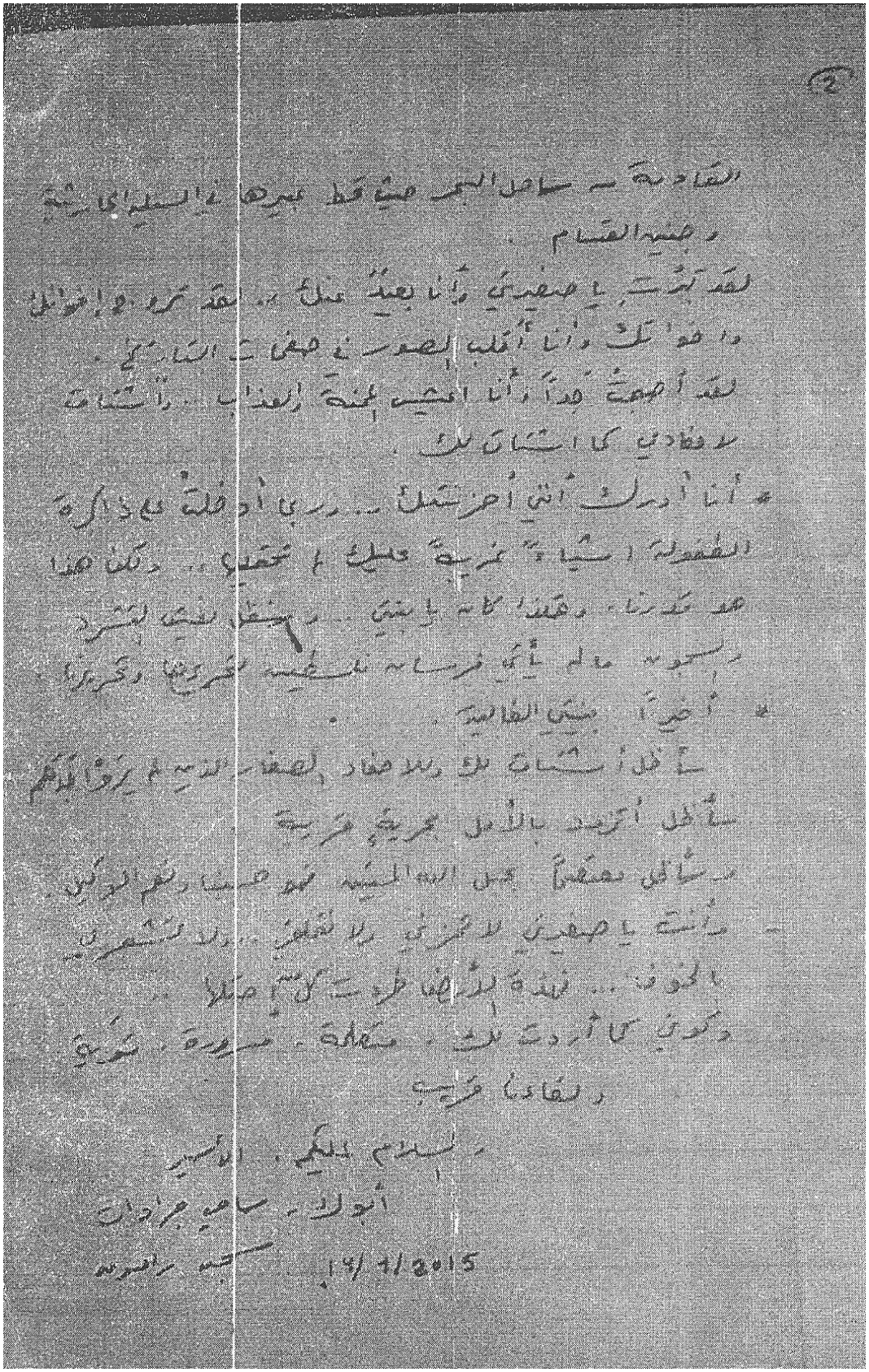

(2)

القادمة .. ساحل البحر حيث قطعنا بحرها في السفينة الحربية
وجنين القسام .

لقد كبرت يا صغيري وأنا بعيد عنك .. لقد كبرت في أحوالي
وأحوالك وأنا أقلب الصور في صفحات التاريخ .
لقد أصبحت جدًا وأنا أعيش محنة العذاب .. واشتاقت
لأحفادي كما اشتاقت لك .

- أنا أدرك أنني أحزنتك .. وربما أدخلت في ذاكرة
الطفولة أشياء غريبة عليك يا حبيبي .. ولكن هذا
هو قدرنا .. وهكذا كانت بلادنا ... وسيظل شعبنا يتشرد
ويسجن .. حتى يأتي فرسان فلسطين يحررونها ويحررونا
- أخيرًا يا بني الغالي .

سأظل أشتاق لك ولأحفادي الصغار الذين لم يروا جدهم
سأظل أتوعد بالأمل بحرية قريبة
وسأظل صامدًا حتى الشهادة حسبنا الله ونعم الوكيل .
- وأنت يا صغيري لا تحزن ولا تقلق .. ولا تشعر
بالخوف .. فهذه بلادنا طريقها كان صعبًا .
وكوني كما أردت لك . متفائلة . مسرورة . سعيدة
ولقاؤنا قريب

والسلام عليكم . الأسير
أبوك . سامح جرادات
سجن [illegible] 16/4/2015

بسم الله الرحمن الرحيم

هكذا كان يا بنيتي

من غياهب السجون ومن ظلمات الزنازين أبعث لك بنيتي الغالية بهذه السطور التي أكتبها بدم من جرحي النازف .. تحيرت في بداية رسالتي عن ماذا أكتب لها ، فكل شيء في هذه السجون مغطى بالسواد ..وكل شيء فيها آلام ومعاناة .. وكل شيء يحرقني ويزيدني شوقا لك وكل أولادي .

تركتك يا غاليتي وأنت لم تتجاوزين الثلاث سنوات وأنت الآن خطوات قليلة للثانوية العامة

ماذا أحدثك بنيتي العزيزة هل اقص لك عن أيام التحقيق ؟؟؟ عن لحظات الشبح والضرب والتعذيب والترغيب والترهيب ؟؟؟ هل أحدثك عن مرضي ووجعي ؟؟؟...

هل أقص لك عن مئات القصص المرعبة والتي مات فيها أسرى في زهرة شبابهم ؟؟؟؟؟

أم احدثك عن معاملة السجان الذي دائما يكشر عن أنيابه كي يهاجمنا ويسرق منا حتى كسرة الخبز التي نشتريها على حسابنا !!!!

وكل ذلك يهون في سبيل الله والوطن ، وكل ذلك لا يذكر أمام شوقي للحرية ..للهواء الطلق .. للنسمات القادمة من ساحل البحر حيث تحط عبيرها في السيلة الحارثية وجنين القسام .

لقد كبرت يا صغيرتي وأنا بعيد عنك لقد تزوج إخوانك وأخواتك وأنا أقلب الصور في صفحات التاريخ لقد أصبحت جدا وأنا أعيش المحنة والعذاب واشتاق لأحفادي كما اشتاق لك وأنا أدرك أنني أحزنتك وربما أدخلت على ذاكرة الطفولة أشياء غريبة عليك لم تحتمليها ... ولكن هذا هو قدرنا وهكذا كان يا بنيتي وسنظل نعيش التشرد والسجون ما لم يأتي فرسان فلسطين لتحريرها وتحريرنا .

أخيرا بنيتي الغالية

سأظل أشتاق لك وللأحفاد الصغار الذين لم يروا جدهم .. سأظل أتزود بالأمل بحرية قريبة وسأظل معتصما بحبل الله المتين فهو حسبنا ونعم الوكيل وأنت يا صغيرتي لا تحزني ولا تقلقي ولا تشعري بالخوف ...فهذه الأرض طردت كل من احتلها وكوني كما أردت لك متعلمة مسرورة قوية ولقائنا قريب

والسلام عليكم

الأسير أبوك سامي جرادات

٢٠١٥/٤/١٤م سجن رامون

ملحق رقم (4)

خارطة توزيع المعتقلات والسجون الإسرائيلية في أنحاء فلسطين